أبو طلحة الأنصاري ﷺ

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: ها نحن نعيش، بل ونتعايش مع رجل أسلم لله - جل وعلا- وكان إسلامه مهرًا لامرأة من نساء أهلِ الجنة.

إنه أبو طلحة الأنصاري ﷺ صاحب رسول الله ﷺ ومن بني أخواله، وأحد أعيان البدريين وأحد النُّقباء الاثنى عشر ليلة العقبة.

أما عن قصة إسلامه، وزواجه من أم سُلَيم فلقد أسلمت أم سُلَيم ﷺ وكان زوجها مالك - والد أنس - ما زال كافرًا، وذات مرة سمع مالك زوجته تردد بعزيمة أقوى من الصخر: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، خرج

من البيت غاضبًا فلقيه عدو له فقتله.

ولما علمت أم سُلَيم بمقتل زوجها احتسبت وقالت: لا جرم لا أفطم أنسًا حتى يدع الثدي، ولا أتزوج حتى يأمرني أنس.

وذهبت أم أنس إلى الرسول ﷺ على استحياء وعرضت عليه أن يكون أنس خادمًا عنده فرحب وأقر عينها بذلك.

ومضى الناس يتحدثون عن أنس بن مالك وأمه بإعجاب وتقدير، ويسمع أبو طلحة بالخبر فيتقدم للزواج من أم سُلَيم ويعرض عليها مهرًا غاليًا إلا أن المفاجأة تذهله وتعقد لسانه عندما ترفض أم سُلَيم كل ذلك بعزة وكرامة، وهي تقول: إنه لا ينبغي أن أتزوج مشركًا، أما تعلم يا أبا طلحة أن آلهتكم ينحتها آل فلان، وإنكم لو أشعلتم فيها نارًا لاحترقت [1]. فأحس أبو طلحة بضيق شديد، فانصرف وهو لا يكاد يصدق ما يرى ويسمع، لكنه عاد في اليوم التالي يمنِّيها بمهر أكبر وعيشة رغيدة عساها تلين وتقبل، ولكن أم سُلَيم الداعية اللبيبة الذكية - التي ترى الدنيا تتراقص أمام عينيها حيث المال والجاه والشباب - تشعر بأن قلعة الإسلام في قلبها أقوى من كل نعيم الدنيا، فقالت بأدب جم: والله ما مثلك يا أبا طلحة يُرد ولكنك رجلٌ كافر، وأنا امرأة مسلمة، ولا يحل لي أن أتزوجك فإن تسلم فذاك مهري ولا أسألك غيره [2].

لقد هزت هذه الكلمات أعماقه وملأت كيانه، فقد تمكنت أم سُلَيم من قلبه تمامًا، فليست هي المرأة اللعوب التي تنهار أمام المغريات.

إنها المرأة العاقلة التي تفرض وجودها، وهل يجد خيرًا منها تكون زوجًا له، وأمًّا لأولاده؟! [3] فألقى الله الإسلام في قلبه وأحس بعظمة هذا الدين الذي يجعل

---

(١) «الطبقات» لابن سعد (٨/ ٤٢٦).
(٢) «الإصابة» لابن حجر (٨/ ٢٤٣).
(٣) «إنها الجنة يا أختاه» للمصنف (ص٣٠) ط. دار الفردوس

تلكم المرأة لا تتأثر بمغريات الدنيا وزينتها، بل إنها تستعلي بإيمانها فوق ذلك كله. فأراد أبو طلحة أن يعلن إسلامه، فقال لها: فمن لي بذلك؟ قالت: النبي ﷺ فانطلق يريده، فقال النبي ﷺ: «جاءكم أبو طلحة وغرة الإسلام بين عينيه»[١].

ما شعر إلا ولسانه يردد: «أنا على مثل ما أنت عليه، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله» فالتفتت أم سُلَيم إلى ابنها أنس، وهي تقول بسعادة بالغة بعد أن هدى الله على يديها أبا طلحة: قم يا أنس فزوج أبا طلحة؛ فزوجها، وكان صداقها الإسلام.

ولذلك قال ثابت - راوي الحديث عن أنس -: فما سمعنا بمهر كان قط أكرم من مهر أم سُلَيم: الإسلام - أي كان مهرها الإسلام[٢].

ومنذ تلك اللحظة عاش أبو طلحة رضي الله عنه في رحاب الوحي ونوره وخالط الإيمان شغاف قلبه، حتى أحس وكأنه أسعد إنسان في الدنيا كلها. ولِمَ لا ؟ ، وهو يعيش في جنة الدنيا بإيمانه، بل وتعيش في بيته امرأة من أهل الجنة! .

فقد قال ﷺ ذات مرة: **«دخلت الجنة فسمعت خشفةً بين يدي فقلت ما هذه الخشفة؟ فقيل: الغُميصاء بنت ملحان»**[٣].

وفوق هذا النعيم كله أنه أَحَبَّ رسول الله ﷺ حُبًّا ملك عليه فؤاده وجوارحه حتى كان يتمنى في أي لحظة أن يفديه بنفسه وماله وبكل ما يملك.

ولقد كان أبو طلحة أحد السبعين الذين بايعوا رسول الله ﷺ بيعة العقبة ومعه زوجه أم سُلَيم، بل كان أحد النُّقباء الاثنى عشر الذين أمَّرَهم الرسول ﷺ في تلك الليلة على مسلمي يثرب.

---

(١) أخرجه الطيالسي في مسنده (٢/ ١٥٩، ١٦٠).

(٢) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح: أخرجه عبد الرزاق (١٠٤١٧).

(٣) أخرجه مسلم، وأحمد، والنسائي عن أنس، «صحيح الجامع» (٣٣٦٨)، والغميصاء بنت ملحان هي أم سليم رضي الله عنها.

obeikandl.com

عباد الله: وشاء الله - عز وجل - أن يرزق أبا طلحة بولد من أم سُلَيم ملأ عليهما حياتهما، وشاء الله أن يمتحنهما بهذا الطفل الجميل، فمرض الولد مرضًا شديدًا، وذات مرة خرج أبو طلحة فمات الولد فتلقت أم سُلَيم موت ابنها بصبر وثبات ورضى بقضاء الله فقالت: الحمد لله إن لله وإنا إليه راجعون.

وهنا أترك الحديث لأنس بن مالك رضي الله عنه ليقص علينا القصة كاملة.

فعن أنس رضي الله عنه قال: مات ابن لأبي طلحة من أم سُلَيم فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بابنه حتى أكون أنا أحدثه. قال: فجاء فقربت إليه عشاء فأكل وشرب، فقال: ثم تصنعت له أحسن ما كان تصنَّع قبل ذلك، فوقع بها فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها، قالت: يا أبا طلحة أرأيت لو أن قومًا أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا! قالت: فاحتسب ابنك. قال: فغضب وقال: تركتني حتى تطلخت ثم أخبرتني بابني، فانطلَق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان فقال رسول الله ﷺ: «**بارك الله لكما في غابر ليلتكما**» قال: فحملت. قال: فكان رسول الله ﷺ في سفر وهي معه، وكان رسول الله ﷺ إذا أتى المدينة من سفر لا يطرقها طروقًا (يعني: لا يدخل على أهل بيته في الليل إلا بعد أن يخبرهم فينزل أولًا على المسجد فيصلي ركعتين وهذا من أدبه ﷺ حتى تتجهز المرأة فلا يرى منها ما يكره). فدنوا من المدينة فضربها المخاض فاحتبس عليها أبو طلحة، وانطلق رسول الله ﷺ قال: يقول أبو طلحة: إنك لتعلم يا رب أنه يعجبني أن أخرج مع رسولك إذا خرج وأدخل معه إذا دخل وقد احتبست بما ترى، قال: تقول أم سُلَيم: «يا أبا طلحة ما أجد الذي كنت أجد، انطلق، فانطلقنا قال: وضربها المخاض حين قدما فولدت غلامًا فقالت لي أمي: يا أنس لا يرضعه أحد حتى تغدو به على رسول الله ﷺ.

فلما أصبح احتملته فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ قال: فصادفته ومعه ميسم، فلما رآني قال: «لعل أم سليم ولدت» قلت: نعم فوضع الميسم قال: وجئت به فوضعته

في حجره، ودعا رسول الله ﷺ بعجوة من عجوة المدينة فلاكها في فيه - فمه - حتى ذابت ثم قذفها في فم الصبي، فجعل الصبي يتلمظها، قال: فقال رسول الله ﷺ «انظروا إلى حب الأنصار التمر» قال: فمسح وجهه وسماه عبد الله[1]. قال رجل من الأنصار فرأيت لهما تسعة أولاد كلهم قد حفظوا القرآن [2].

فيالها من ذرية مباركة، ويا له من أجر عظيم في الدنيا لمن صبر على البلاء هذا مع الخير الذي ينتظره في جنة الرحمن التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله العلي العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد الله الذي يبتلي عباده بأنواع البلاء، وجعل أنبياءه أكثر الناس بلاءً ليميز الله بذلك الصادقين من الكذبة أهل الإدِّعاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

أما جهاد أبي طلحة في سبيل الله؛ فله في ذلك صفحات مشرقة، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: **«لصوت أبي طلحة في الجيش خير من ألف رجل»** [3].

بربك قل لي: إن كان هذا حال صوته، فكيف زنده ونبله، وسيفه ورمحه؟! لقد كان أبو طلحة رضي الله عنه ممن شهدوا بدرًا وأبلى في تلك الغزوة بلاءً حسنًا، وفي يوم أحد كان من الأبطال الذين ثبتوا مع النبي ﷺ ودافع عنه بكل ما يملك.

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٤٤) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٢٦٩) الجنائز، ومسلم (١٤/ ١٢٤-١٢٥).

(٣) صحيح، رواه الحاكم، وابن عساكر عن جابر، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٢٧٥).

عن أنس قال: لما كان يوم أُحد انهزم ناس عن رسول الله، وأبو طلحة بين يديه مُجوِّبًا عليه أي مترِّسًا عليه بجحفه [بالترس]، وكان راميًا شديد النزع، كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة وكان الرجل يمر معه الجُعبةُ من النبل، فيقول ﷺ: «**أنثُرها لأبي طلحة**» ثم يُشْرِف إلى القوم، فيقول أبو طلحة: يا نبي الله، بأبي أنت لا تُشرف لا يصيبك سهم، نحري دون نحرك.

قال: فلقد رأيت عائشة وأم سليم وإنهما لمشمِّرات، أرى خدم سوقهما تَنْقُزان القِرَبُ على متونهما، وتفرغانهما في أفواه القوم، وترجعان فتملآنهما. فلقد وقع السيف من يد أبي طلحة مرتين أو ثلاثًا من النعاس[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: قال «كان أبو طلحة يتترَّس مع النبي ﷺ بترس واحد، وكان أبو طلحة حسن الرمي، فكان إذا رمى يشرف النبي ﷺ فينظر إلى موضع نبله»[2].

وعن أنس رضي الله عنه أن أبا طلحة كان يرمي بين يدي رسول الله ﷺ يوم أُحد وكان رجلًا راميًا، وكان رسول الله ﷺ إذا رمى أبو طلحة رفع بصره فينظر أين يقع سهمه، وكان يدفع صدر رسول الله ﷺ بيده، ويقول: يا رسول الله، هكذا لا يصيبك سهم، وكان إذا بقي مع النبي ﷺ جثا بين يديه، وقال: نفسي لنفسك الفداء، ووجهي لوجهك الوقاء، وأما في يوم حُنين فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين: «من قتل قتيلًا فله سَلَبُهُ فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلاً، وأخذ أسلابهم»[3].

أما إنفاق أبي طلحة في سبيل الله فقد كان رضي الله عنه كريمًا لا يضن ولا يبخل بالمال أبدًا. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالًا من نخل، وكان أحب أمواله إليه بَيْرُحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٢٧٨، ٢٧٩).
(٢) أخرجه البخاري (٢٩٠٢).
(٣) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح: أخرجه أبو داود، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي

ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾. قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران:٩٢] وأن أحب أموالي إليَّ بيرحاء وأنها صدقة لله أرجو برها وذخرها، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. قال: فقال رسول الله ﷺ: «ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين» فقال أبو طلحة: أفْعَل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه[١].

وأما عبادته ﷺ فقد عاش أبو طلحة ﷺ حياته عابدًا صائمًا مجاهدًا في سبيل الله؛ فعن أنس بن مالك أن أبا طلحة سرد الصوم بعد وفاة رسول الله ﷺ أربعين سنة لا يفطر إلا يوم فطر أو أضحى أو في مرض[٢].

عباد الله: ولأبي طلحة ﷺ كرامة ثابتة بعد موته فها هو في آخر أيامه ﷺ لكن شيخوخته ما حالت بينه وبين الجهاد في سبيل الله حتى آخر قطرة من دمه. عن أنس أن أبا طلحة قرأ سورة «براءة» فأتى على هذه الآية: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة:٤١] فقال: ألا إني أرى ربي يستنفرني شابًّا وشيخًا؟ جهزوني. فقال له بنوه: قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى قُبض، وغزوت مع أبي بكر حتى مات، وغزوت مع عمر، فنحن نغزو عنك فقال: جهِّزوني، فجهزوه، فركب البحر، فمات، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام فلم يتغير[٣].

وهناك في هذا المكان البعيد عن الأهل والعشيرة والأصحاب يدفن أبو طلحة. وإن كان مكانه بعيدًا عن أعيننا إلا أنه ليس بعيدًا عن عين الله ﷻ الذي

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦١)، ومسلم (٩٩٨).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٥٣) وقال: هذا حدث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه الحاكم (٣/ ٣٥٣)، وابن حبان (٢٢٥١)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٣١٣)، وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح.

سيجبر كسره يوم القيامة في جنات النعيم مع الحبيب ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم فرضي الله عن أبي طلحة وعن سائر الصحابة أجمعين.

اللهم ألحقنا بالصالحين، واجعلنا مع النبيين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، اللهم شفِّع فينا نبيك محمد ﷺ وأوردنا حوضه واسقنا من يده الشريفة شربة ماء ، لا نظمأ بعدها أبدًا يا جواد يا كريم.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، واخذل الكفرة والمشركين، اللهم شتت شملهم وفرق جمعهم واجعلهم غنيمة للإسلام والمسلمين، اللهم ولِّ أمورنا خيارنا ولا توها شرارنا يا أرحم الراحمين، وقوموا إلى صلاتكم.

obeikandl.com

بلال بن أبي رباح رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء:١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: ها نحن اليوم على موعد مع رجل سمع النبي ﷺ صوت نعليه في الجنة، إنه الرجل الذي رفع الأذان بصوته فوق الكعبة في بيت الله الحرام، بل إنه الرجل الذي اشتاقت إليه جنة الرحمن جل جلاله.

إننا اليوم على موعد مع صوت الإسلام بلال بن أبي رباح. إن اسم بلال لا يسمعه أحد في الكون كله إلا ويشعر بمعنى العزة والاستعلاء على حظوظ النفس، إنك لا تكاد تجد مسلمًا في هذا الكون على مدار السنين واختلاف الأماكن إلا وهو يعرف بلالًا إنه صوت الإسلام الذي بدأ في مكة ووصل إلى أطراف الأرض في الصين واستراليا والأمريكتين وجنوب أفريقيا. إنه بلال بن رباح مولى أبي بكر

الصِّدِّيق ومؤذن رسول الله ﷺ.

من السابقين الأولين الذين عُذِّبُوا في الله، شهد بدرًا، وشهد له النبي ﷺ على التعيين بالجنة.

وقبل أن نبدأ تلك القصة التي يحلو ذكرها والله في كل وقت وحين. أريد أن أذكر بعض الأحاديث التي ذكرها الحبيب ﷺ في فضل الأذان لكي نعلم قدر الرجل الذي سنذكر سيرته، قال ﷺ: «من أذن ثنتي عشرة سنة وجبت له الجنة. وكتب له بتأذينه في كل يوم ستون حسنة، وبإقامته ثلاثون حسنة»(١).

وقال ﷺ: «المؤذن يغفر له مَدَّ صوته وأجره مثل أجر من صلى معه» (٢).

وقال ﷺ: «المؤذن يغفر له مدى صوته ويشهد له كل رطب ويابس» (٣).

وقال ﷺ: «المؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة» (٤).

أما عن قصة إسلام بلال رضي الله عنه فتعالوا بنا لنبدأ تلك القصة المباركة من أولها. لقد كان بلالٌ عبدًا لأناس من بني جُمَح بمكة، فقد كانت أمه إحدى إمائهم وجواريهم. وكان يترامى إلى سمعه أخبار النبي ﷺ حيث كان يسمع أمية بن خلف - وهو أحد شيوخ بني جُمَح- وهو يتحدث مع أصدقائه ورجال قبيلته عن الحبيب ﷺ وقلوبهم تمتلئ غيظًا وكرهًا له ﷺ.

وعلى الرغم من ذلك فقد كانوا لا ينكرون أبدًا أمانة النبي ﷺ ولا رجولته ولا أخلاقه الطيبة ولا صدقه ورجاحة عقله، وكان ذلك يصل إلى سمع بلال رضي الله عنه حتى أحس من داخله بأن هذا الدين هو الدين الحق وبأن هذا النبي ﷺ هو طوق

---

(١) رواه ابن ماجه، والحاكم عن ابن عمر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٠٠٢).
(٢) رواه الطبراني في «الكبير» عن أبي إمامة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦٤٤).
(٣) رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٦٤٤).
(٤) أخرجه مسلم، وأحمد، وابن ماجه عن معاوية. «صحيح الجامع» (٦٦٤٥).

النجاة الذي أرسله الله إلى تلك الأمة لينتشلها من أوحال الجاهلية إلى أنوار التوحيد، ومن ثم إلى جنة الرحمن - جل وعلا -ويستجيب بلال لنداء الحق ويُفسح قلبه كله ليستقبل هذا النور الذي جاء به الحبيب ﷺ من عند ربه - جل وعلا- فيذهب إلى النبي ﷺ ويُعلن إسلامه فيشعر وكأنه وُلد في تلك اللحظة.

عباد الله: وما هي إلَّا ساعات معدودة حتى شاع خبر إسلامه، وإذا بهؤلاء الذين نفخ الشيطان في عقولهم فظنوا أنهم هم السادة مع أنهم عبيد لشهوات بطونهم وفروجهم، يعرفون خبر إسلام بلال رضي الله عنه فيصبون عليه العذاب صبًّا، ولا يرقبُون فيه إلًّا ولا ذمة.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أول من أظهر الإسلام سبعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر، وعمار، وأُمُّهُ سُمَيَّة، وصهيب، وبلال، والمقداد رضي الله عنهم فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمِّه، وأما أبو بكر منعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد أتاهم على ما أرادوا إلا بلالًا، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأخذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول أحدٌ أحدٌ[1].

وروى ابن إسحاق وهو يصف شيئًا من عذاب قريش لبلال رضي الله عنه وغيره من المستضعفين، قال ابن إسحاق: ثم إنهم عدَوْا على من أسلم، واتبع رسول الله ﷺ من أصحابه فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر؛ من استُضعفوا منهم، يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من يُفتن من شدة البلاء الذي يصيبه، ومنهم من يُصلب لهم، ويعصمه الله منهم.

وكان بلال مولى أبي بكر رضي الله عنه لبعض بني جُمَح مولدًا من مولديهم وهو بلال ابن رباح وكان اسم أُمِّه: حَمامة، وكان صادق الإسلام طاهر القلب وكان أمية بن

---

(١) رواه الحاكم (٣/ ٢٨٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمح يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: [لا والله]، لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزي، فيقول، وهو في ذلك البلاء: أحدٌ أحدٌ[1].

وهكذا يستعلي بلال رضي الله عنه بإيمانه بالله - جل وعلا - فكان يستعذب العذاب في سبيل الله، مع أن الله قد رخَّص للمؤمنين وقتها أن ينطقوا بكلمة الكفر طالما أن قلوبهم مطمئنةٌ بالإيمان لكي ينجو كل واحد منهم من بطش هؤلاء المجرمين، ولكنَّ بلالًا كره أن يُشمت أعداء الإسلام بالإسلام وأهله، وأراد أن يعرف الكون كله أن المؤمن لو اجتمعت عليه الدنيا بأسرها فلن تستطيع أن تحرك ذرة واحدة من جبال الإيمان الراسخة في قلبه، وذلك لأن الذي ثَبَّتَ تلك الجبال هو الخالق - جل جلاله.

عباد الله: وذات مرة يمر أبو بكر رضي الله عنه فيجد بلالًا رضي الله عنه يُعَذَّبُ في رمضاء مكة، وقد هانت عليه نفسه في سبيل الله، وهو يردد هذا النداء الخالد: أحدٌ أحدٌ.

فيذهب أبو بكر في التو واللحظة ويصفّي التجارات ويأتي بالأموال ليشتري العبيد والأرقاء ليعتقهم خشية أن يفتنوا في دينهم.

قال عطاء الخراساني: كنت عند ابن المُسيِّب فذكر بلالًا، فقال: كان شحيحًا على دينه، وكان يعذب في الله، فلقي النبي ﷺ فقال: لو كان عندنا شيء ابتعنا بلالًا، فلقي أبو بكر العباس فقال: اشترِ لي بلالًا، فاشتراه العباس، وبعث به إلى أبي بكر فأعتقه[2].

وفي «السيرة» أن أبا بكر اشتراه بعبد أسود مشرك من أمية بن خلف[3].

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) «السيرة» لابن هشام (١/ ٢٦٢).
(٢) أخرجه ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٢/ ٣٢).
(٣) «السيرة» لابن هشام (١/ ٣١٨)

الحمد لله ولي الصالحين، وناصر الموحدين على أعداء الدين، ولا عدوان إلا على الظالمين من المشركين والمنافقين، والعاقبة للمتقين الصابرين المحتسبين، وأصلي وأسلم على سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحابته أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

عن ابن سيرين أن بلالًا لما ظهر مواليه على إسلامه مَطُّوه في الشمس وعذبوه وجعلوا يقولون: إلهك اللات والعزى، وهو يقول: أحدٌ أحدٌ فبلغ أبا بكر، فأتاهم فقال علام تقتلونه؟فإنه غير مطيعكم، قالوا: اشتره، فاشتراه بسبع أواق فأعتقه[١].

وعن قيس قال: اشترى أبو بكر بلالًا وهو مدفون في الحجارة بخمس أواق ذهبًا، فقالوا: لو أبيتَ إلا أوقية لبعناكه ، قال: لو أبيتُم إلا مئة أوقية لأخذته[٢].

فكان عمر رضي الله عنه إذا ذُكر عنده أبو بكر قال:«أبو بكر سيدنا وأعتق بلالًا سيدنا»[٣].

بل لقد قال المفسرون في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[الليل:١٩]. قالوا: نزلت الآيات في حق أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه حين اشترى بلالًا وأعتقه في سبيل الله، فقال المشركون: إنما فعل ذلك ليد كانت له عنده فنزلت: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل:١٩][٤].

وهكذا يكتب الله النجاة لبلال من أيدي المشركين ليبدأ حياة جديدة في رحاب الإيمان وفي صحبة سيد الأنام ﷺ فأخذ بلال ينهل من هذا النبع الصافي مباشرة إلى أن جاء الوقت الذي أراد الله فيه أن يثلج صدره ويعلى قدره.

---

(١) الطبقات لابن سعد (١/ ١/ ١٦٥).
(٢) أخرجه أبو نعيم (١/ ١٥٠).
(٣) أخرجه البخاري (٣٧٥٤) المناقب.
(٤) «صفوة التفاسير» (٣/ ٥٧٠).

عباد الله: وها هو القرآن ينزل في بلال رضي الله عنه، عن سعد قال: كنا مع رسول الله ﷺ ستة نفر فقال المشركون: اطرد هؤلاء عنك فلا يجترؤون علينا، وكنت أنا وابن مسعود وبلال ورجل من هذيل وآخران، فانزل الله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾[الأنعام:٥٢، ٥٣](١).

عباد الله: ها هي مكرمة لا تقوم لها الدنيا بكل ما فيها، وذلك عندما أخبر الحبيب ﷺ أن الله يغضب لغضب بلال.

فعن عائذ بن عمرو أن أبا سفيان أتى على سلمان وصُهيب وبلال في نفر، فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنُقُ عدو الله مأخذها قال: فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيِّدهم؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: «يا أبا بكر لعلك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك»، فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه، أغضبتكم؟ قالوا: لا. يغفر الله لك يا أخي»(٢).

فيالها من مناقب لا توازيها الدنيا بكل ما فيها من متاع زائل.

ويعيش بلال رضي الله عنه بل ويتعايش مع الإسلام قلبًا وقالبًا حتى أحبه النبي ﷺ حبًّا يعجز القلم عن وصفه.

وذات مرة دخل النبي ﷺ على بلال وعنده صبرة من تمر قال: ما هذا يا بلال؟ قال: يا رسول الله ادخرته لك ولضيفانك، فقال: أما تخشى أن يكون له بخار في النار؟ ، أنفق بلال ولا تخشى من ذي العرش إقلالًا (٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤١٣/ ٤٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٤١٣/ ٤٦) «فضائل الصحابة».

(٣) رواه الطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود، والبزار عن بلال وعن أبي هريرة وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٥١٢).

ويأتي النبي ﷺ مرة أخرى بأعظم بشرى لبلال رضي الله عنه فيقول ﷺ: «اشتاقت الجنة إلى ثلاثة: علي وعمار وبلال»(١). الله أكبر، الجنة تشتاق إلى بلال؟!. كيف استطاع بلال رضي الله عنه بعد تلك البشرى أن تحمله قدماه ليمشي على الأرض بين الناس؟! فمنذ فترة يسيرة كان عبدًا حبشيًّا، والآن أصبح معروفًا في الأرض، بل وفي السماوات حتى اشتاقت الجنة إليه. إن كثيرين من عِليَة البشر وذوي الجاه والنفوذ والثروة فيهم، لم يظفروا بمعشار الخلود الذي ظفر به بلال العبد الحبشي! بل إن كثيرين من أبطال التاريخ لم ينالوا من الشهرة التاريخية بعض الذي ناله بلال.

إن سواد بشرته وتواضع حسبه ونسبه وهوانه على الناس كعبد رقيق لم يحرمه حين آثر الإسلام دينًا، من أن يتبوأ المكان الرفيع الذي يؤهله له صدقه ويقينه وطهره وتفانيه(٢).

عباد الله: وها هي البشرى التي تصبح حقيقة حيث إن النبي ﷺ يسمع صوت نعلي بلال في الجنة.

فعن بريدة رضي الله عنه قال: دعا رسول الله ﷺ بلالًا فقال: «يا بلال بم سبقتني إلى الجنة، إني دخلت الجنة البارحة فسمعتُ خشخشتك أمامي فأتيت على قصر من ذهب مربع فقلت لمن هذا القصر؟، قالوا: لرجل من أمة محمد، قلت: فأنا محمد. لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من العرب. قلت: أنا عربي. لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من قريش. قلت: فأنا قرشي، لمن هذا القصر؟ قالوا لعمر بن الخطاب؟» فقال بلال: يا رسول الله ما أذَّنت قط إلا صليت ركعتين، وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها، فقال رسول الله ﷺ: «بهذا»(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي قال لبلال عند صلاة الفجر: «يا بلال حدثني

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٩٨) «المناقب»، والحاكم (٣/ ١٣٧) وصححه ووافقه الذهبي.
(٢) «رجال حول الرسول ﷺ» (ص١٠٣-١٠٤).
(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٣٦٠)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٨٥)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

بأرجى عمل عملتَهُ في الإسلام؛ فإني سمعتُ دفَّ نعليك بين يدي في الجنة ، قال: ما عملت عملًا أرجى عندي من أني لم أتطهر طهورًا في ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي»[1].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**رأيتني دخلت الجنة فإذا بالرميصاء امرأة أبي طلحة، وسمعت خشفةً، فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلال ورأيت قصرًا بفنائه جارية فقلت: لمن هذا؟ فقال: لعمر، فأردت أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك**»، فقال عمر: بأبي وأمي يا رسول الله، أعليك أغار؟![2].

قلت: وهذا كله ثمرة من ثمرات المداومة على العمل الصالح، والجزاء من جنس العمل.

قال ابن حجر في «الفتح»: لما مشى بالأذان بين يدي النبي ﷺ فاتفق مثله في الجنة ولا يلزم من ذلك دخول بلال الجنة، قبل النبي ﷺ لأنه في مقام التابع، وكأنه أشار ﷺ إلى بقاء بلال على ما كان عليه حال حياته، واستمراره على قرب منزلته، وفيه منقبه عظيمة لبلال رضي الله عنه وعن سائر الصحابة[3].

اللهم اجعلنا صالحين مصلحين وشفع فينا نبيك محمد ﷺ واسقنا من يده الشريفة شربة لا نظمأ بعدها أبدًا، اللهم أصلح الراعي والرعية، اللهم ول أمورنا خيارنا ولا توطا شرارنا ، اللهم عليك بالصليبيين وسائر الكفار والمشركين، اللهم شتت شملهم وفرق جمعهم ولا تجعل لهم سلطانًا على المسلمين، اللهم انصر المجاهدين في كل مكان، اللهم كن لهم عونًا وسندًا ، اللهم احقن دماءهم واشف مرضاهم وعاف مبتلاهم واجمع كلمتهم واجعلنا من أنصار دينك وسنة نبيك محمد ﷺ، وقوموا إلى صلاتكم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٩)، ومسلم مختصرًا (٢٤٥٧).
(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٩)، ومسلم مختصرًا (٢٤٥٧).
(٣) «فتح الباري» (٣/ ٤٣).

بلال بن أبي رباح رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا في هذا اليوم بإذن الله في الخطبة الثانية عن بلال بن رباح رضي الله عنه ولنبدأ بالهجرة المباركة، لما أذن الله لنبيه ﷺ بالهجرة المباركة إلى المدينة، هاجر بلال رضي الله عنه مع من هاجر من الصحابة رضي الله عنهم.

ونزل في رحاب الأنصار الذين مدحهم الله تعالى بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[الحشر:٩].

وما أن وصل بلال إلى المدينة حتى أصابته الحمى. قالت عائشة: لما قدم النبي ﷺ

المدينة وُعِكَ أبو بكر وبلال، فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كُـلُّ أمــرِيءٍ مُـصَبَّـح في أهـلِـهِ ∴ والمــوتُ أدنــى مـن شِراك نَعْلِهِ

وكان بلال إذا أقلع عنه يرفع عقيرته [١] ويقول:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هي أبيتن ليلة ∴ بــواد وحــولي أذخــر وجليلُ [٢]

وهــل أردنْ يَــومًــا مــيــاهَ مَجَنَّة ∴ وهَـلْ يَـبْـدُوَنْ لي شامةٌ وطَفيلُ [٣]

اللهم العن عتبة، وشيبة وأمية بن خلف، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء[٤] فكان بلال رضي الله عنه يحن ويشتاق إلى مكة، على الرغم من العذاب الذي كان يعانيه فيه، لكنه لم ينس أبدا أنه ذاق حلاوة الإيمان لأول مرة في حياته في مكة:

عباد الله: أما عن قصة بداية الأذان فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة ليس ينادى لها، فتكلموا يومًا في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوسًا مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم بل بوقًا مثل بوق اليهود، فقال عمر: أولا تبعثون رجلًا ينادي بالصلاة؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا بلال قم فناد بالصلاة» ولبداية الأذان قصة تطيب القلوب لذكرها.

قال ابن إسحاق: فلما اطمأن رسول الله بالمدينة واجتمع عليه إخوانه من المهاجرين واجتمع أمر الأنصار، استحكم أمر الإسلام فقامت الصلاة وفُرضت الزكاة والصيام وقامت الحدود وفُرِضَ الحلال والحرام، وتبوأ الإسلام بين أظهرهم وكان هذا الحي من الأنصار هم الذين تبوءوا الدار والإيمان وقد كان رسول الله

---

(١) يرفع عقيرته: (أي يرفع صوته).

(٢) الإذخر: نبات طيب الرائحة.

(٣) مجنة: اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية، شامة وطفيل: جبلان بقرب مكة.

(٤) أخرجه البخاري(١٨٨٩) في «فضائل المدينة».

ﷺ حين قدمها إنما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين مواقيتها بغير دعوة، فَهَمَّ رسول الله ﷺ حين قدمها أن يجعل بوقًا كبوق يهود الذي يدعون به لصلاتهم، ثم كرهه، ثم أمر بالناقوس، فنحت لِيُضْرَبَ به للمسلمين للصلاة فبينما هم على ذلك إذ رأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه ، أخو بلحارث بن الخزرج (النداء) الأذان فأتى رسول الله ﷺ فقال له: يا رسول الله [إنه] طاف بي هذه الليلة طائف مَرَّ بي رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسًا في يده فقلت (له): يا عبد الله، أتبيع هذا الناقوس؟ قال: وما تصنع به؟ قال: قلت: ندعو به إلى الصلاة، قال: أفلا أدلك على خير من ذلك؟ قال: قلت: وما هو؟ قال: تقول: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله؛ فلما أخبر بها رسول الله ﷺ قال: **«إنها لرؤيا حق، إن شاء الله، فقم مع بلال فالقها عليه، فليؤذن بها، فإنه أندى صوتًا منك»** فلما أَذَّنَ بها بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو في بيته فخرج إلى رسول الله ﷺ وهو يجر رداءه، وهو يقول: يا نبي الله، والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي رأى فقال رسول الله ﷺ: [فلله الحمد على ذلك] »(١). وبذلك كان بلال رضي الله عنه أول مؤذن في الإسلام.

عباد الله: وها هو الله يقتص لبلال من أمية بن خلف في يوم بدر.

ولقد شهد بلال مع نبيه ﷺ غزوة بدر، وقاتل فيها قتالًا شديدًا وأبلى بلاءً حسنًا وشاء الله عز وجل أن يقتص له من «أمية بن خلف» الذي كان يعذبه في رمضاء مكة. وها هو الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يقص علينا كيف مَكَّنَ الله لبلال من أمية بن خلف قال عبد الرحمن بن عوف: كان أمية بن خلف صديقًا لي بمكة، وكان أسمي عبد عمرو، فتسميت حين أسلمت عبد الرحمن، حتى إذا

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الصلاة، باب بدء الأذان (١/ح ٤٩٩)، وهو حديث صحيح صححه جماعة من الأئمة كالبخاري وغيره.

كان يوم بدر، مررت به وهو واقف مع ابنه علي بن أمية آخذ بيده، ومعي أدرع قد استلبتُها فأنا أحملها، فلما رآني قال لي: يا عبد عمرو، فلم أجبه، فقال: يا عبد الإله؟ فقلت: نعم، قال: هل لك في، فأنا خير لك من هذه الأدرع التي معك؟ قال: قلت: نعم، ها الله إذًا! قال: فطرحت الأدرع من يدي، وأخذت بيده ويد ابنه، وهو يقول: ما رأيت كاليوم قط أما لكم حاجةً في اللبن؟ (قال): ثم خرجتُ أمشي بهما [1].

وفي رواية: قال ابن عوف رضي الله عنه قال لي أمية ابن خلف، وأنا بينه وبين إبنه آخذ بأيديهما، يا عبد الإله من الرجل منكم المعلَّم بريشة نعامة في صدره؟ قال: قلت: ذاك حمزة بن عبد المطلب. قال: ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل، قال عبد الرحمن: فوالله إني لأقودهما إذ رآه بلال معي - وكان هو الذي يعذب بلالا بمكة على ترك الإسلام فيخرجه إلى رمضاء مكة إذا حميت فيضجعه على ظهره، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول: لا تزال هكذا أو تُفارق دين محمد، فيقول بلال أحدٌ أحدٌ. قال: فلما رآه قال: رأس الكفر أمية بن خلف، لا نجوتُ إن نجا. قال: قلت. أي بلال، أبأسيرَيَّ؟ قال: لا نجوت إن نجا. قال: قلت: أتسمع يا ابن السوداء؟ قال: لا نجوت إن نجا. قال: ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله، رأس الكفر أمية ابن خلف، لا نجوت إن نجا. قال: فأحاطوا بنا حتى جعلونا مثل المسكة وأنا أذبُّ عنه- أدافع عنه - قال: فأخلف رجل السيف، فضرب رِجْل ابنه فوقع، وصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط. قال: فقلت: انجُ بنفسك ولا نجاء بك، فوالله ما أغني عنك شيئًا. قال فهبروهما بأسيافهم، حتى فرغوا منهما، قال: فكان عبد الرحمن يقول: يرحم الله بلالا ذهبت أدراعي، وفجعني بأسيري [2].

قلت ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه الطبري في «التاريخ» (٢/ ٣٥)، وابن الأثير في «الكامل» (٢/ ١٢٧).
(٢) أخرجه البخاري (٤/ ح ٢٣٠١/ فتح).

الحمد لله الذي مكن لأوليائه من رقاب أعداء الله، نحمده حمدًا يليق بجلاله وعظمته ملء أرضه وسماه، أثلج صدور عباده المؤمنين بالنصر المبين على من عاداه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

عباد الله: وتمر الأيام مسرعة، ويعود رسول الله ﷺ إلى مكة فاتحًا منتصرًا بعد أن خرج منها وهو يبكي ويقول: «**والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله وإنك لأحب بلاد الله إلى رسول الله ولولا أن قومي أخرجوني منك ما خرجت**».

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مردفًا أسامة بن زيد، ومعه بلال، ومعه عثمان بن طلحة من الحجبة حتى أناخ في المسجد، فأمره أن يأتي بمفتاح البيت، فدخل رسول الله ﷺ ومعه أسامة ابن زيد، وبلال، وعثمان بن طلحة فمكث فيه نهارًا طويلًا، ثم خرج فاستبق الناس فكان عبد الله بن عمر أول من دخل فوجد بلالًا وراء الباب قائمًا، فسأله أين صلى رسول الله ﷺ فأشار على المكان الذي صلى فيه. قال عبد الله: فنسيت أن اسأله: كم صلى سجدة [1].

قال: الإمام ابن القيم رحمه الله وأمر رسول الله ﷺ بلالًا أن يصعد فيؤذن على الكعبة [2].

ويؤذن بلال؛ فيالروعة المكان والزمان والمناسبة.

كفت الحياة في مكة عن الحركة،ووقفت الألوف المسلمة كالنسمة الساكنة، تردد في خشوع وهمس كلمات الأذان وراء بلال. والمشركون في بيوتهم لا يكادون يصدِّقون أهذا هو محمد وفقراءه الذين أخرجوا بالأمس من هذه الديار؟! أهذا هو

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٦١١) «المغازي».

(٢) «زاد المعاد» (٣/ ٤١١).

حقًّا ومعه عشرة آلاف من المؤمنين؟! أهذا هو حقًّا الذي طاردناه، وقاتلناه، وقتلنا أحب أهله وقرباه إليه؟! أهذا هو حقًّا الذي كان يخاطبنا منذ لحظات ورقابنا بين يديه، ويقول لنا: «أذهبوا؛ فأنتم الطلقاء»؟! ولكن ثلاثة من أشراف قريش، كانوا جلوسًا بفناء الكعبة، وكأنما يلفحهم مشهد بلال وهو يدوس أصنامهم بقدميه، ويرسل من فوق رُكامها المَهيل صوته بالأذان المنتشر في آفاق مكة كلها كعبير الربيع، أما هؤلاء الثلاثة فهم: أبو سفيان بن حرب - وكان قد أسلم منذ ساعات - وعتَّاب بن أسِيد، والحارث بن هشام - وكانا لم يسلما بَعْدُ[1].

فقال عتَّاب بن أسيد: لقد أكرم الله أسيدًا ألا يكون سمع هذا؛ فيسمع منه ما يغيظه، فقال الحارث بن هشام: أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته - يقصد النبي ﷺ- فقال أبو سفيان: لا أقول شيئًا لو تكلمت لأخبرت عني هذا الحصى، فخرج عليهم النبي ﷺ، فقال: قد علمت الذي قلتم ثم ذكر ذلك لهم، فقال الحارث وعتاب: نشهد أنك رسول الله، والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا، فنقول أخبرك[2].

عباد الله: وظل بلال رضي الله عنه يؤذن لرسول الله ﷺ طوال حياته، فلما انتقل الحبيب ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وحان وقت الصلاة قام بلال يؤذن في الناس - والنبي الكريم ﷺ مُسَجًّى[3] لم يدفن بعد - فلما وصل إلى قوله: «أشهد أن محمدًا رسول الله» خنقته العبرات، واحتبس صوته في حلقه، وأجهش المسلمون بالبكاء وأغرقوا في النحيب، ثم أذن بعد ذلك ثلاثة أيام، فكان كلما وصل إلى قوله: «أشهد أن محمدًا رسول الله» بكى وأبكى، عند ذلك طلب من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ أن يُعفيه من الأذان بعد أن أصبح لا يحتمله[4].

وطلب من أبي بكر رضي الله عنه أن يأذن له بالخروج إلى الشام للجهاد والمرابطة، وكان

---

(١) «رجال حول الرسول ﷺ» (ص١١٦، ١١٧) بتصرف.

(٢) هكذا ذكره ابن هشام من غير إسناد، وكذلك ذكره ابن كثير في «التفسير» (٣/ ١٣٢) من طريق ابن إسحاق من غير سند.

(٣) مُسَجًّى: أي مُغطى.

(٤) «صور من حياة الصحابة» (٣٢١).

الصِّدِّيق يحبه حبًّا جمًّا فتردد في بادئ الأمر، فقال له بلال: «إن كنت إنما اشتريتني لنفسك فأمسكني، وإن كنت إنما اشتريتني لله فدعني وعمل الله»(١).

وفي رواية: «فذرني أعمل لله». فأذن له أبو بكر رضي الله عنه قال ابن كثير رحمه الله: ولما توفي رسول الله ﷺ كان بلال فيمن خرج إلى الشام للغزو، ويقال: إنه أقام يؤذن لأبي بكر أيام خلافته والأول أصح وأشهر (٢). وظل في بلاد الشام عابدًا زاهدًا ينتظر اليوم الذي يلحق فيه بالحبيب ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ونام أول وأعظم مؤذن عرفته الدنيا (على فراش الموت) .

قال سعيدُ بن عبد العزيز: لما احتضر بلال قال: غدًا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه، قال تقول امرأته: واويلاه. فقال: وافرحاه (٣).

ولفظ أنفاسه الأخيرة رضي الله عنه وخَلَّدَ الله اسمه في العالمين وأعلى قدره في الآخرة في جنات النعيم، نسأل الله تعالى أن يجمعنا وإياكم مع النبي ﷺ وأصحابه لننعم بصحبتهم في الجنة وإن كنا حُرمنا من سماع بلال رضي الله عنه وهو يؤذن في الدنيا فنسأل الله جل وعلا أن يسمعنا أذانه في الجنة أليس الله هو القائل - سبحانه وتعالي - : ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيَ أَنفُسُكُمْ﴾ [فُصِّلَت:٣١]. فرضي الله عن بلال وعن سائر الصحابة أجمعين.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، واهزم الكفرة والمنافقين، وكافة أعداء الدين، اللهم عليك بالصليبيين فإنهم لا يعجزونك، اللهم لا ترفع لهم راية، واجعلهم لغيرهم عِبرة وآية، اللهم اجعل كيدهم في نحورهم، اللهم أصلح الراعي والرعية، اللهم ولِّ أمورنا خيارنا ولا تولها شرارنا يا رب العالمين، ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣]. وقوموا إلى صلاتكم.

(١) أخرجه البخاري (٣٧٥٥) كتاب: فضائل الصحابة.
(٢) «البداية والنهاية» (٥/ ٢٨٩).
(٣) «سير أعلام النبلاء» للإمام الذهبي (١/ ٣٥٩).

حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: ها نحن اليوم على موعد مع سيد الشهداء، ها نحن على موعد مع أسد الله وأسد رسوله ﷺ الذي لما نال شرف الشهادة في سبيل الله جعل الله روحه في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل عرش الرحمن جل وعلا.

إننا على موعد مع حمزة بن عبد المطلب.

ما أشد حاجة الإنسان إلى قوة تستند ظهره وتشد أزره، وتأخذ بيده، وتذلل له العقبات، وتقهر أمامه الصعاب، وتنير له الطريق، وليست هذه القوة المنشودة إلا في ظلال العقيدة، ورحاب الإيمان بالله. الإيمان بالله هو الذي يمدنا بروح القوة،

وقوة الروح، فالمؤمن لا يرجو إلَّا فضل الله، ولا يخشى إلا عذاب الله، ولا يبالي بشيء في جنب الله، إنه قوي وإن لم يكن في يديه سلاح، غني وإن لم تُمَجْ خزائنه بالفضة والذهب، عزيز وإن لم يكن وراءه عشيرة وأتباع، راسخ وإن اضطربت سفينة الحياة، وأحاط بها الموج من كل مكان[1].

ولكن مع كل هذا فقد علَّمنا الحق جل وعلا أن نأخذ أيضًا بأسباب القوة المادية التي تتمثل في الرجال الأقوياء الأتقياء الذين يحملون هَمَّ الإسلام، وقبل ذلك كله هم يحملون أكفانهم بين أيديهم، ويُقَدِّمون أرواحهم ودماءهم من أجل نصرة هذا الدين العظيم.

ولذلك كان الحبيب ﷺ يتمني من أعماق قلبه أن يشرح الله صدر عمه وأخيه في الرضاعة -حمزة- للإسلام، ومن هنا كانت البداية، وتعالوا بنا لنتعايش بقلوبنا وأرواحنا مع قصة أسد الله وأسد رسوله ﷺ.

كان حمزة ﷺ يعيش في أحد البيوتات المحيطة بالكعبة وعاش هناك طفولته وشبابه بين أترابه من أطفال قريش وشبابها. ولقد كان سريع الحركة قوي البنية، يتقن الرمي غاية الإتقان، ولذلك كان يحب الصيد حبًّا شديدًا فكان يخرج إلى الوديان الفسيحة، ويصعد فوق قمم الجبال؛ يمارس هوايته التي لا تفارقه أبدًا ألا وهي الصيد، وعند غروب الشمس يعود مرة أخرى إلى أدراجه ليشارك فتيان قريش في اللهو واللعب، والانغماس في شهوات الدنيا.

وما علم حمزة ﷺ أنه سيترك هذا كله في وقت قريب ليحمل هَمَّ هذا الدين وليكون أسد الله وأسد رسوله ﷺ بل وليصبح سيد الشهداء يوم القيامة.

عباد الله: ها هي الأيام تمضي، والدعوة الإسلامية تُشرق بأنوارها على أُمِّ القرى، وتُعطِر الدنيا برحيقها، ولم يفتر المشركون في تقديم وجبات سريعة ومتتالية من الأذى، وضربات من الكيد العنيف للإسلام والمسلمين، وكان من أشدهم عداوةً

---

(١) «الإيمان والحياة» د/ يوسف القرضاوي (ص٢٦١).

وضراوةً لرسول الله ﷺ أبو جهل بن هشام فرعون الأمة، الذي راح يفرغ حِقده في المسلمين، وراح يسخر من الدعوة، ويسخِّر كل ما يملك في سبيل الصَّدِّ عن سبيل الهدى ويصبُّ جَام غضبه على المؤمنين المستضعفين [1].

وكان حمزة ﷺ يتعجب لهذا العداء فهو يعلم حال ابن أخيه جيدًا، ويعرف عنه رقة الشمائل ومكارم الأخلاق، وفوق ذلك كله فهو الصادق الأمين الذي اجتمع الناس على محبته وإجلاله وتوقيره، وفي يوم من الأيام يخرج حمزة ﷺ كعادته لممارسة هوايته المُفضلة - الصيد - وبعد ما قضى وقته في تلك الهواية وعاد ومعه من الخير الكثير والكثير، وفي طريق عودته يحدث أمرًا لم يكن في الحسبان فيكون سببًا في إسلامه، فيا ترى ما الذي حدث؟! تعالوا بنا لنفتح سويًا صفحة نعرف من خلالها كيف أسلم أسد الله ﷺ.

عباد الله: إن الأفق المتلبد بالسُّحب قد يتولد منه برق يضيء.

لقد غبرت على المسلمين في مكة أيام غلاظ، اضطُرت بيوتًا عديدة أن تفر بدينها، وبقي من بَقِيَ منهم يكابد العنت من شطط المشركين وكيدهم، إلا أن عناصر جديدة دخلت في الإسلام جعلت قريشًا تتروى في أمرها قبل أن تقدم على إساءاتها المبيتة.

أسلم حمزة بن عبد المطلب، عم النبي عليه الصلاة والسلام وأخوه من الرضاع، وهو رجل قوي الشكيمة [2]، ولقد كان إسلامه في بداية الأمر أنفة ثم شرح الله صدره بنور اليقين، فاستمسك بالعروة الوثقى وصار من أفاضل المؤمنين، واعتز به المسلمون أيما إعزاز.

أما عن قصة إسلامه فيروى لنا ابن إسحاق أن أبا جهل مَرَّ برسول الله ﷺ عند الصفا، فآذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره، من العَيْبِ لدينه والتضعيف لأمره،

---

(١) «فرسان من عصر النبوة» (ص:٥٧).

(٢) «فقه السيرة للغزالي» (ص١٣٦).

فلم يكلمه رسول الله ﷺ ومولاة لعبد الله بن جُدْعَان في مسكن لها تسمع ذلك (منه)، ثم انصرف عنه ... فعمد إلى نادي قريش عند الكعبة فجلس معهم فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب ﷺ أقبل متوشحًا[1] قوسه راجعًا من قنص له - كان يصطاد - وكان صاحب قنص يرميه ويخرج له، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك، لم يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم، وكان أعز فتًى في قريش وأشدهم شكيمةً ؛ فلما مر بمولاة عبد الله بن جُدْعَان، وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته قالت له: يا أبا عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفًا من أبي الحكمِ بن هشام، وجده هاهنا جالسًا فآذاه وسبَّه وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه ولم يُكَلِّمه محمد ﷺ، فغضب حمزة غضبًا شديدًا لما أراد الله به من كرامته، فخرج يسعى ولم يقف على أحد مُعدًّا لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به، فلما دخل المسجد نظر إليه جالسًا في القوم فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه، رفع القوس فضربه به فَشجَّهُ شَجَّةً مُنْكَرة، ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه أقول كما يقول؟، فَرُدَّ ذلك عليَّ إن استطعت فقامت رجالٌ من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل: دعوا أبا عُمَارة، فإني والله قد سببتُ ابن أخيه سبًّا قبيحًا، وتم حمزة ﷺ على إسلامه، وعلى ما تابع عليه رسول الله ﷺ من قوله فلما أسلم حمزة، عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع، وأن حمزة سيمنعه، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه[2]، ومنذ تلك اللحظة التي أسلم فيها حمزة ﷺ واستقر الإيمان في قلبه، وهو يحمل هَمَّ هذا الدين ويتمنى أن يبذل من أجله الغالي والنفيس، بل وأن يضحي في سبيله بالنفس والمال وبكل ما يملك.

وظل حمزة ملازمًا للحبيب ﷺ ملازمة الرجل لظله، فلا يفارقه في حِلَّه وترحاله.

---

(١) متوشحًا: أي يتقلده كما يتلقد السيف.

(٢) ذكره الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٢٦٧) وقال: رواه الطبراني مرسلًا، ورجاله رجال الصحيح.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله العلي العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله الذي فضَّل المجاهدين على القاعدين، نحمده حمد الشاكرين، ونسأل الله أن يجعلنا من عباده المجاهدين الصادقين، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.

أما بعد:

عباد الله: ولما أذن النبي ﷺ لأصحابه بالهجرة المباركة كان حمزة من أوائل المهاجرين، واستقر في المدينة المنورة وآخى النبي ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة رضي الله عنهما ولقد بلغت هذه المؤاخاة الكريمة بينهما مبلغًا عظيمًا فهي محبة خالصة لوجه الله تعالى لا تشوبها أي شائبة من طلب حطام الدنيا وزهرتها الفانية. ومضى حمزة رضي الله عنه في طريق الإيمان والذَّود عن الدَّعوة، حتى بلغ مقامًا لم يبلغه غيره من المسلمين، فهو سيِّدُ الشُّهداء بشهادة سيِّد الخلق رسول الله ﷺ وهو أسد رسوله ﷺ كان إسلامه عزًّا للمسلمين، ومنعة وقوة لرسول الله ﷺ، أُخِذت به قريش فأصابها المقيم المقعد، وشرقت بإسلامه فكان شجًا في حلاقيمها، إذ أذل كبرياءها، وقَتَلَ كُبَراءها وظهرت به الدعوة بعد استخفائها وأُعْلِنت بصوته كلمة الحق بعد استتارها، وجُهِر بالتكبير لله تعالى على سمع طغاة الشِّرك، فأراهم حقارة عقولهم في دناءة معبوداتهم وأراهم عزة الحقِّ وانتصاره، فكان إسلامه ظفرًا ومنعة وفتحًا[1].

وها هو في لحظة واحدة بتحول من النقيض إلى النقيض، يترك الصيد واللهو والغناء، ويخلع ثوب الجاهلية على أعتاب التوحيد والإيمان، ويحمل همَّ الدين في قلبه، ويبدأ صفحة جديدة يبذل فيها المال والنفس لنصرة دين الله- جل وعلا - وهكذا ينبغي لكل من أكرمه الله بنعمة الهداية أن يبدأ فورًا صفحة جديدة لنصرة دين الله؛ فإن العمل لهذا الدين من أعظم عوامل الثبات، وها هي أول سرية خرج

---

(١) «فرسان من عصر النبوة» (ص:٦١).

فيها المسلمون للقاء العدو كان أميرها حمزة.

ففي شهر رمضان سنة(١هـ) أرسل رسول الله ﷺ سرية وأَمَّرَ عليها حمزة بن عبد المطلب وبعثه في ثلاثين رجلًا من المهاجرين، يعترض عيرًا لقريش جاءت من الشام، وفيها أبو جهل بن هشام في ثلاثمائة رجل فبلغوا سيف البحر من ناحية العيص[1] فالتقوا واصطفوا للقتال، فمشى مجدي بن عمرو الجهني - وكان حليفًا للفريقين جميعًا - بين هؤلاء وهؤلاء حتى حجز بينهم فلم يقتتلوا[2]. ولكن تمر الأيام وتأتي الفرصة المناسبة التي يكشِّر فيها الأسد عن أنيابه ليعلم المشركون أنهم لا طاقة لهم بهؤلاء الأبطال الذين يحرصون على الموت أكثر من حرص المشركين على الحياة.

وها هو أسد الله وأسد رسوله ﷺ (حمزة بن عبد المطلب) يقودها حملة - لا تُبقي ولا تذر - ضد المشركين.

أما جهاد حمزة ﷺ في غزوة بدر وما أدراك ما يوم بدر؟! يوم بدر هو يوم الفرقان الأعظم يوم التقى الجمعان، جمع المسلمين الموحِّدين في إيمانهم الراسخ، وقوة يقينهم، وجمع الفجرة الكفرة في غرورهم المهزول الضَّئيل، وكفرهم الغشوم الهزيل.

يوم بدر هو يوم الفيصل بين حياة وحياة.

يوم علت فيه كلمة الله - وهي العليا منذ الأزل.

ويوم تَسَفَّلَتْ فيه كلمة الكفر - وهي السفلى منذ القدم.

يوم بدر يوم فتح الله به للحقِّ وأهله أبواب الكرامة والعزة، فكرُم الحقُّ على أهله وعز وكُرِمُوا به وعَزُّوا لما فيه من نصر وظفر.

يوم بدر، يوم فتح الله به للباطل وأهله سراديب الهاوية، فاندحر واندحروا

---

(١) العيص: مكان بين ينبع والمروة ناحية البحر.

(٢) «السيرة» لابن هشام (٢/ ٢٠٠) بتصرف.

وارتفع الحق شامخًا.وتسامى إلى الآفاق مضيئًا مشرقًا مُتَلَأْلِئًا، واندحر الباطل منكوسًا يهوي إلى وادي الفناء ذليلًا محسورًا.

وفى بدر، عبَّأ رسول الله ﷺ جيشه للقتال ماديًّا ومعنويًّا كما يواجه أعداءه وهو على أكمل استعداد، كان حمزة رضي الله عنه يَتَشَوَّقُ إلى القتال ليظهر فروسيته أمام الحبيب الأعظم سيدنا محمد رسول الله ﷺ، فيحظى بالرضا والدعوات النبوية المباركة[1]، فها هي صفحة من صفحات أسد الله وأسد رسوله ﷺ، تلكم الصفحة التي سطرها على جبين التاريخ بسطور من النور.

فإنه لما وقف المسلمون والمشركون وجهًا لوجه، في غزوة بدر كان أول وقود المعركة الأسود بن عبد الأسد المخزومي ، وكان رجلًا شرسًا سيء الخلق، فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم، أو لأهدمنه، أو لأموتن دونه، فلما خرج خرج إليه حمزة بن عبد المطلب، فلما التقيا ضربه حمزة فأطن قدمه بنصف ساقة وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تشخُبُ رجله دمًا نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد(زعم) أن يبُرَّ يمينه وأتبعه حمزةُ فضربه حتى قتله في الحوض[2].

وبعد أن استطاع حمزة أن يقتل الأسود بن عبد الأسد المخزومي في الحوض خرج بعده عقبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عقبة، حتى إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة، فخرج إليه فتية من الأنصار الثلاثة وهم عوف ومعوِّذ ابنا الحارث، وأمهما عفراء ورجل آخر يقال: هو عبد الله بن رواحة، فقالوا من أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصار! قالوا: ما لنا بكم حاجة ثم نادى مناديهم: يا محمد أخرج إلينا أكفَّاءنا من قومنا. فقال رسول الله ﷺ: «قم يا عبيدة بن الحارث، وقم يا حمزة. وقم يا علي» فلما قاموا ودنوا منهم، قالوا: من أنتم؟ قال عبيدة: عبيدة. وقال حمزة: حمزة. وقال علي: علي ، قالوا: نعم أكفاء كرام. فبارز عبيدة وكان أسنّ القوم عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة بن ربيعة، وبارز علي الوليد بن عتبة، فأما حمزة

(١) «فرسان في عصر النبوة» (ص:٦٦).
(٢) «السيرة» لابن هشام (٢/ ٢٢٨).

فلم يمهل شيبة أن قتله، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه، وكَرَّ حمزة وعلي بأسيافهم على عُتبة فَذَفَّفا عليه واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه [١].

وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه كان يُقسِم فيها قَسَمًا إن هذه الآية: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾[الحج:١٩]. نزلت في حمزة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه يوم برزوا في يوم بدر [٢].

هذا، وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم، وارض اللهم عن الخلفاء الراشدين المهديين أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وعلى سائر الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين. اللهم انصر الإسلام والمسلمين، واخذل الكفرة من المشركين، ودمر أعداءك أعداء الدين، اللهم ولِّ أمورنا خيارنا ولا تولها شرارنا، اللهم عليك بالصليبيين، وكافة أعداء الدين، اللهم شتت شملهم، وفرق جمعهم، واجعل الدائرة عليهم إلى يوم الدين، اللهم أصلح الراعي والرعية، واجعل لهم بطانة صالحة، وجنبهم بطانة السوء، إنك سميع الدعاء، وقوموا إلى صلاتكم.

(١) هكذا رواه ابن إسحاق بدون إسناد، وأخرجه أبو داود في كتاب: الجهاد، باب: في المبارزة (٣/ح/ ٢٦٦٥)، وأحمد في «مسنده» (٩٤٨) من حديث علي بن أبي طالب وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٤٣).

حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله: أما جهاد حمزة رضي الله عنه في غزوة أحد؛ فحديثه ذو شجون، لم يهدأ بال قريش مذ غشيها يوم (بدر) ما غشيها، وكان ما جَدَّ من الحوادث لا يزيد أحقادها إلا ضرامًا، فلما استدارت السنة، كانت مكة قد استكملت عدتها، واجتمع إليها أحلافها من المشركين وانضم إليهم كل ناقم على الإسلام وأهله. فخرج الجيش الثائر في عدد يربو[1] على ثلاثة آلاف. ورأى أبو سفيان قائده أن يستصحب النساء معه، حتى يكون ذلك أبلغ في استماتة الرجال دون أن تصاب حرماتهم وأعراضهم[2]؟

---

(١) يربو: يزيد.

(٢) «فقه السيرة» للغزالي (ص٢٨٨).

وكان زعماء قريش يهدفون بمعركتهم الجديدة هذه إلى رجلين اثنين: الرسول عليه الصلاة والسلام، وحمزة رضي الله عنه وأرضاه.

أجل، والذي كان يسمع أحاديثهم ومؤامراتهم قبل الخروج للحرب، يرى كيف كان حمزة بعد الرسول بيت القصيد وهدف المعركة.

ولقد اختاروا قبل الخروج، الرجل الذي وكَّلوا إليه أمر حمزة، وهو عبدٌ حبشي كان ذا مهارة خارقة في قذف الحربة، جعلوا كل دوره في المعركة أن يتصيد حمزة ويصوب إليه ضربةً قاتلة من رمحه، وحذروه من أن ينشغل عن هذه الغاية بشيء آخر مهما يكن مصير المعركة واتجاه القتال. ووعدوه بثمن غال وعظيم هو حُريته؛ فقد كان الرجل واسمه وحشي عبدًا لجبير بن مُطعِم، وكان عم جبير قد لقي مصرعه يوم بدر فقال له جبير: اخرج مع الناس فإن قتلت حمزة عم محمد بعمي طعيمة بن عدي فأنت عتيق. ثم أحالوه إلى هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان لتزيده تحريضًا ودفعًا إلى الهدف الذي يريدون وكانت هند قد فقدت في معركة «بدر» أباها، وعمها، وأخاها، وابنها، وقيل لها: إن حمزة هو الذي قتل بعض هؤلاء، وأجهز على البعض الآخر، من أجل هذا كانت أكثر القرشيين والقرشيات تحريضًا على الخروج للحرب، لا لشيء إلا لتظفر برأس حمزة مهما يكن الثمن الذي تتطلبه المغامرة![1]، ولقد لبثت أيامًا قبل الخروج للحرب، ولا عمل لها إلا إفراغ كل حقدها في صدر وحشي ورسم الدور الذي عليه أن يقوم به، ولقد وَعَدَتْهُ، إن هو نجح في قتل حمزة بأثمن ما تملكه المرأة من متاع وزينة، فلقد أمسكت بأناملها قرطها اللؤلؤي الثمين وقلائدها الذهبية التي تزدحم حول عنقها، ثم قالت وعيناها تحدقان في وحشي: (كُل هذا لك، إن قتلت حمزة)! وسال لعاب وحشيٍّ وطارت خواطره توَّاقة مشتاقة إلى المعركة التي سيربح فيها حريته، فلا يصير عبدًا أو رقيقًا، والتي سيخرج منها بكل هذا الحلي الذي يزين عُنق زعيمة نساء قريش، وزوجة زعيمها، وابنة سيدها!!.

---

(١) مع العلم بأنها أسلمت بعد ذلك وحسن إسلامها رضي الله عنها.

كانت المؤامرة إذن، وكانت الحرب كلها تريد حمزة رضي الله عنه بشكل واضح وحاسم [1].

عباد الله: والتقي الجيشان وحمي الوطيس، وقام أسد الله حمزة يصول ويجول في أرض المعركة يشق الصفوف شقًّا ويهد المشركين بسيفه هَدًّا.

لقد كانت بطولة حمزة يوم أُحد من أروع البطولات في عالَم الفروسية، وكانت بطولته أرفع بطولات الأبطال، فكان رضي الله عنه يقاتل قتال الليوث المغاوير، ويندفع إلى قلب جيش المشركين فيبدِّد جموعَهم وهو يغامر مغامرة منقطعة النَّظير، فينكشف عنه الأبطال والكماة الشجعان، ويتطايرون أمامه كما تتطاير أوراق الخريف أمام الرياح العاتية.

بل لقد كان يقاتل قتال الليوث المهتاجة فصَدَّ حَمَلة اللواء من بني عبد الدار واقتنص أرواحهم فردًا فردًا. عن سعد بن أبي وقاص قال: كان حمزة يُقاتل يوم أحد بين يدي رسول الله ﷺ بسيفين ويقول: أنا أسد الله [2]، ولولا أن ترك الرماة مكانهم فوق الجبل، ونزلوا إلى أرض المعركة ليجمعوا غنائم العدو المهزوم لولا تركهم مكانهم وفتحهم الثغرة الواسعة لفرسان قريش لكانت غزوة أحد مقبرة لقريش كلها: رجالها، ونسائها، بل، وخيلها، وإبلها!!

لقد دهم فرسانها المسلمين من ورائهم على حين غفلة. وأعملوا فيهم سيوفهم الظامئة المجنونة، وراح المسلمون يجمعون أنفسهم من جديد ويحملون سلاحهم الذي كان بعضهم قد وضعه حين رأى جيش قريش ينسحب ويولي الأدبار، ولكن المفاجأة كانت قاسية وعنيفة، ورأى حمزة ما حدث فضاعف قوته ونشاطه وبلاءه، وأخذ يضرب عن يمينه وشماله، وبين يديه ومن خلفه، و(وحشي) هناك يرقبه، ويتحيَّن الفرصة الغادرة ليوجِّه نحوه ضربته، وحمزة يقاتل بكل قوة وكأنه يري

---

(١) «رجال حول الرسول ﷺ» لخالد محمد خالد (ص٢١٥-٢١٦)

(٢) أخرجه ابن سعد (٣/ ١/ ٦)، والحاكم (٣/ ١٩٤) وصححه، ووافقه الذهبي.

الجنة أمام عينيه [١]. وهو يتذكر قول النبي ﷺ: «**حمزة سيد الشهداء يوم القيامة**».

وها هي رياح الموت تهب على أرض المعركة، وها هى اللحظة التي قدرها الله -جل وعلا- ليرحل حمزة رضي الله عنه عن الدنيا، وليصبح سيد الشهداء يوم القيامة.

عباد الله: ولنترك الحديث لوحشي ليحكي لنا كيف استطاع أن يقتل حمزة. يقول وحشي: كنت غلامًا لجُبير بن مُطعم وكان عمه طعيمة بن عدي قد أصيب [٢] يوم بدر قُتِل فلما سارت قريش إلى أحد، قال لي جبير: إن قتلت حمزة عم محمد بعمي فأنت عتيق، قال فخرجت مع الناس وكنت رجلًا حبشيًّا أقذف بالحربة قذف الحبشة، قلما أخطئ بها شيئًا فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة، وأتبصره، حتى رأيته في عُرض الناس مثل الجمل الأورق، يَهُدُّ الناس بسيفه هدًّا، ما يقوم له شيء فوالله إني لأتهيأ له، أريده وأستتر منه بشجرة أو حجر ليدنو مني إذ تقدمني إليه سباع بن عبد العزى، فلما رآه حمزة قال: هلُمَّ يا ابن مُقطعة البُظور، قال: فضربه ضربة كأن ما أخطأ رأسه. قال: وهززت حربتي حتى إذا أرضيت منها، دفعتها عليه، فوقعت في ثُنَّته حتى خَرَجَتْ من بين رجليه، وذهب لينوء نحوي فغُلب وتركته وإياها حتى مات، ثم أتيته فأخذت حربتي ثم رجعت إلى العسكر فقعدتُ فيه، ولم يكن لي بغيره حاجة وإنما قتلته لأعتق فلما قدمت مكة أعتقت ثم أقمت حتى إذا افتتح رسول الله ﷺ مكة هربت إلى الطائف فمكثت فيها، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله ﷺ ليُسْلِموا تعَيَّتْ عليَّ المذاهب فقلت: ألحق بالشام أو باليمن أو ببعض البلاد، فوالله إني لفي ذلك من همّي، إذ قال لي رجل ويحك إنه والله ما يقتل أحدًا من الناس دخل في دينه، وتشهد شهادته.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله العلي العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) «رجال حول الرسول ﷺ» (ص٢١٧).

(٢) أصيب: قتل.

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام المتقين، محمد ﷺ وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد:

لما علم وحشي أن النبي ﷺ لا يقتل أحدًا من الناس دخل في دينه وتشهد شهادته، قال: خرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة، فلم يرُعْهُ إلَّا بي قائمًا على رأسه أتشهد بشهادة الحق (فلما) رآني قال: «أوحشي؟» قلت: نعم يا رسول الله، قال: «أقعد فحدثني كيف قتلت حمزة»، قال: فحدثته فلما فرغت من حديثي قال: «**وَيْحَكَ غَيِّب عني وجهك**» فلا أرينك. قال: فكنت أتنكب رسول الله ﷺ حيث كان لئلا يراني حتى قبضه الله ﷺ أي: حتى توفاه الله [1].

فلما خرج المسلمون إلى مُسيلِمة خرجتُ معهم بحربتي التي قتلتها بها حمزة. فلما التقى الناس، نظرت إلى مُسيلِمة وفي يده السيف، فوالله ما أعرفه، وإذا رجل من الأنصار يُريده من ناحية أخرى، فكلانا يتهيأ له، حتى إذا أمكنني دفعتُ عليه حربتي فوقعتْ فيه، وشد الأنصاري عليه، فضربه بالسيف؛ فربُّك أعلم أيُّنا قتله، فإن أنا قتلتهُ، فقد قتلتُ خيرَ الناس بعدَ رسول الله ﷺ وقتلت شر الناس [2].

عباد الله: هكذا رحل (أسد الله) عن الدنيا، ليس شهيدًا فحسب، بل سيدًا للشهداء، وفاز بتلك المنقبة العظيمة التي أخبر عنها الحبيب ﷺ بعد الغزوة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خُضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يُبَلِّغ إخواننا عنا أننا أحياء في الجنة نُرزق لئلا ينكلوا عند الحرب، ولا يزهدوا في**

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٤٠٧٢/ فتح)

(٢) قال الأرنؤوط: إسناد قوي إلى وحشي. وأخرجه ابن هشام (٢/ ٧٠-٧٣) وأخرجه البخاري (٤٠٧٢) في المغازي، باب: قتل حمزة رضي الله عنه.

الجهاد، قال الله: أنا أبلغهم عنكم. فأنزلت الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا﴾[آل عمران:١٦٩](١).

عباد الله: ولم يكتف أعداء الله بقتله، بل مثلوا بجسده، فإنه عندما بحث الصحابة ومعهم الحبيب ﷺ عن (حمزة) وجدوه قد بُقِرَ بطنه، واحتمل وحشي كبده إلى (هند) في نذر نذرته حين قتل أباها يوم بدر.

فدفن في نمرة كانت عليه إذا رُفعت إلى رأسه بدت قدماه، فغطوا قدميه بشيء من الشجر، وتأتي اللحظة الأليمة التي وقف فيها رسول الله ﷺ أمام جسد عمه حمزة الذي كان يحبه من كل قلبه، فها هو الآن قد فارق الدنيا كلها.

فعن أنس رضي الله عنه قال: لما كان يوم أُحد وقف رسول الله ﷺ على حمزة وقد جُدعَ وَمُثِّلَ به، فقال: «**لولا أن تجد صفية في نفسها لتركته حتى يحشره الله من بطون السباع والطير**».

وكُفِّنَ في نمرة إذا خُمِّرَ رأسه بدت رجلاه، وإذا خُمِّرتْ رجلاه بدا رأسه، ولم يصل على أحد من الشهداء. وقال: «**أنا شهيد عليكم**» وكان يجمعُ الثلاثة في قبر، والاثنين فيسأل أيهما أكثر قرآنا فيقدمه في اللحد، وكَفَّنَ الرجلين والثلاثة في ثوب (٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رجع رسول الله ﷺ يوم أُحد، فسمع نساء بني عبد الأشهل يبكين على هلكاهُنَّ فقال: «**لكن حمزة لا بواكي له**» فجئن نساء الأنصار فبكين على حمزة عنده، فرقد فاستيقظ وهن يبكين فقال: «**يا ويحهنَّ! أَهُنَّ هاهنا حتى الآن، مُروهُنَّ، فليرجعن ولا يبكين على هالك بعد اليوم**» (٣).

عباد الله: ولقد ذهب أصحاب الرسول يتبارون في رثاء حمزة وتمجيد مناقبه العظمى، فقال حسان بن ثابت في قصيدة طويلة له:

---

(١) قال الأرنؤوط: رجاله ثقات، أخرجه مسلم في «صحيحه».
(٢) قال الأرنؤوط: إسناده حسن: أخرجه أحمد (٣/ ١٢٨)، وأبو داود (٣١٣٦).
(٣) قال الأرنؤوط: سنده قوي، وأخرجه أحمد (٢/ ٨٤)، وابن ماجه (١٥٩١).

دع عنك دارًا قد عفا رسمها ∴ وابك على حمزة ذي النائل
اللابس الخيل إذا أحجمت ∴ كالليث في غايته، الباسل
أبيض في الذروة من هاشم ∴ لم يَمْرِ دون الحق بالباطل

وقال عبد الله بن رواحة:

بكت عيني وحُقَّ لها بُكاها ∴ وما يُغني البكاء ولا العويل
على أسد الإله غداة قالوا ∴ أحمزة ذاكم الرجل القتيل
أصيب المسلمون به جميعًا ∴ هناك وقد أصيب به الرسول
أبا يعلى لك الأركان هُدَّت ∴ وأنت الماجدُ البَرَ الوصول

وقالت صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول ﷺ وأخت حمزة:

دعاه إله الحق ذو العرش دعوة ∴ إلى جنة يحيا بها وسرور
فذلك ما كنا نرجِّي ونرتجي ∴ لحمزةَ يوم الحشر خير مصير
فوالله مَا أنسَاك ما هَبَّتِ الصبا ∴ بكاءً وحزنًا محضري ومسيري
على أسد الله الذي كان مدرِهًا ∴ يذود عن الإسلام كلَّ كفُور
أقول وقد أعلى النعيُّ عشيرتي ∴ جزى اللهُ خيرًا من أخٍ ونصيرِ

وعن عقبة أن النبي ﷺ صلى على قتلى أُحد صلاته على الميت، فهذا كان قبل موته بأيام[1].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٤٤) الجنائز، ومسلم (٢٢٩٦) الفضائل

أما مكانة حمزة ﷺ في قلوب الصحابة رضوان الله عليهم فها هو عبد الرحمن بن عوف ﷺ أحد العشرة المبشرين بالجنة يشهد بأن حمزة ﷺ خير منه، عن سعد بن إبراهيم عن أبيه إبراهيم أن عبد الرحمن بن عوف ﷺ أُتي بطعام - وكان صائمًا - فقال: قُتِلَ مصعب بن عمير وهو خير مني، وكُفِّنَ في بُردَة إن غُطِّيَ رأسه بدت رجلاه، وإن غُطِّيَتْ رجلاه بدا رأسه، وأراه قال: وقتل حمزة وهو خير مني ثم بسط لنا من الدنيا ما بُسِطَ - أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا - وقد خشينا أن تكون حسناتنا عُجِّلَتْ لنا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام [1].

عباد الله: أما الكرامة الثابتة لأسد الله، بعد موته فقد قال ﷺ: «**رأيت الملائكة تُغَسِّل حمزة بن عبد المطلب وحنظلة بن الراهب**» [2].

وعن جابر بن عبد الله، قال: لما أراد معاوية أن يُجري عينه التي بأُحُد، كتبوا إليه: إنا لا نستطيع أن نجريها إلا على قبور الشهداء، قال: فكتب: انبشوهم، قال: فرأيتهم يُحملون على أعناق الرجال كأنهم قوم نيام وأصابت المسحاة طرف رجل حمزة بن عبد المطلب فانبعثت دمًا وكأنه قد مات الآن، هكذا يؤيد الله أولياءه بالنصرة، والتأييد بالكرمات في حياتهم وبعد موتهم ثم يرزقهم بالنعيم المقيم في جنته؛ فرضي الله عن حمزة وعن سائر الصحابة أجمعين، ونسأل الله أن يجمعنا بهم وبالحبيب ﷺ في جنته ومستقر رحمته. اللهم اجعلنا من أنصار دينك بكل ما نملك يا سميع الدعاء، اللهم انصر المجاهدين لإعلاء كلمتك في كل مكان، اللهم اجعلنا من النافرين في سبيلك خفافًا وثقالًا، وارفع عنا الوهن وحب الدنيا وكراهية الموت في سبيلك، اللهم عليك بالصليبيين وسائر الكفرة ومن أعانهم على المسلمين، اللهم اجعلهم غنيمة للإسلام والمسلمين، اللهم شتت شملهم ومزق جمعهم، واجعل الدائرة عليهم إلى يوم الدين، وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وقوموا إلى صلاتكم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٧٥).

(٢) روه الطبراني في «الكبير» عن ابن عباس، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤٦٣).

حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله: ها نحن اليوم على موعد مع صاحب سر رسول الله ﷺ، مع أعلم الناس بالفتن إلى يوم القيامة بعد رسول الله ﷺ، مع الرجل الذي كان سببًا في جمع الناس على مصحف واحد، بل إننا على موعد مع الرجل الذي أخبره الحبيب ﷺ بأنه سيكون رفيقًا له في الجنة.

إننا على موعد مع حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما.

أيها المسلمون: أعيروني القلوب قبل الأسماع لتعلموا كيف استطاع رجل من أصحاب النبي ﷺ أن يقدم لدين الله ما لا يستطيع جيل بكل طاقاته وإمكاناته أن

يقدم نصف ما قدم. ولست مبالغًا في ذلك فهو واحدٌ ممن تربوا بين يدي الحبيب ﷺ الذي رباه الله - جل وعلا - وصنعه على عينه ليربي به الأمم والأجيال عبر العصور والأزمان. إنه حذيفة بن اليمان من نجباء أصحاب محمد ﷺ وهو صاحب السر[1] وكان والد حذيفة مكي من(بني عبس).وكان قد أصاب دمًا في قومه، فهرب إلى المدينة، وحالف بني عبد الأشهل فسماه قومه اليمان لحلفه لليمانية وهم الأنصار[2].

ثم تزوج اليمان امرأة هي الرباب بنت كعب الأشهلية فولدت له حذيفة وسعدًا وصفوان، ومدلجًا وليلي، وقد أسلمت الرَّبابُ وبايعتْ رسول الله ﷺ وكان لليمان أيضًا ابنتان أخريان هما فاطمة وأم سلمة.

عباد الله: أطل الإسلام بنوره على جزيرة العرب، وانتشر بإشعاعه وتألقه في حنايا النفوس، ورأى الناس في الدين مثابةً لهم . وملاذًا آمنًا، فأسرع اليمان ونفر من قومه إلى مكة وأعلنوا إسلامهم أمام رسول الله ﷺ وعاد اليمان إلى المدينة وقد أسلم أهلُهُ وأولادُهُ جميعًا، ووجدوا في رسول الله ﷺ القدوة الحسنة في مناحي حياتهم والبلسم مما كانوا يعانون منه.

نشأ حذيفة في بيت مسلم، ثُمَّ رحل بصحبة والده إلى مكة المكرمة، وهناك التقت يمين رسول الله ﷺ بيمين حذيفة، حيث أعلن إسلامه، وسرت في نفسه موجة من الحب والإكبار لرسول الله ﷺ الذي خيره بين الهجرة والنصرة، فاختار حذيفة النُّصرة وعاد إلى المدينة المنورة[3]. ولذلك قال له الحبيب ﷺ: «**إن شئت كنت من المهاجرين، وإن شئت كنت من الأنصار فاختر أحب الأمرين إلى نفسك**» فقال حذيفة ﷺ بل أنا أنصاري يا رسول الله ﷺ ولما أذن الله لنبيه ﷺ بالهجرة فرح حذيفة فرحًا شديدًا ولازم النبي ﷺ ملازمة الحبيب لحبيبه لينهل من هذا النبع الصافي، ويأخذ من هديه وسمته وأخلاقه، ولقد أحبه النبي ﷺ حبًّا جمًّا، وكان

---

(١) المراد بالسر: ما أعلمه به النبي صلى الله عليه وسلم من أحوال المنافقين.

(٢) المستدرك (٣/ ٣٣٠).

(٣) «فرسان من عصر النبوة» (ص٥٠) لأحمد خليل جمعة.

النبي بنظرة واحدة إلى أي رجل يعلم صفاته وإمكاناته ومزاياه من أول وهلة، فأحس النبي ﷺ أن حذيفة يملك ذكاءً يندر وجوده، وسرعة بديهة تجعله يعالج أعتى المواقف والأزمات بيسر وسهولة، وهو في الوقت ذاته يؤتمن على أخطر الأسرار، ولا يذيعها، ولو انطبقت السموات على الأرض. وكان الحبيب ﷺ يضع الرجل المناسب في المكان المناسب، ويستخدم طاقات أصحابه فيما يخدم الدين على أعلى مستوى.

وكانت أكبر مشكلة تواجه المسلمين في المدينة هي وجود المنافقين من اليهود وأشياعهم وما يحيكونه للنبي عليه الصلاة والسلام، وأصحابه من مكائد ودسائس ومؤامرات. فأفضى النبي [١] صلوات الله عليه وسلامه لحذيفة بن اليمان بأسماء المنافقين وهو سر لم يُطْلع عليه أحدًا من أصحابه.

وعهد إليه برصد حركاتهم، وتتبع نشاطهم ودرء خطرهم [٢] عن الإسلام والمسلمين. ومنذ ذلك اليوم دُعي حذيفة بن اليمان بصاحب سر رسول الله ﷺ [٣]؛ فعن إبراهيم قال: ذهب علقمة إلى الشام فأتى المسجد فصلى ركعتين فقال: اللهم ارزقني جليسًا فقعد إلى أبي الدرداء فقال: ممن أنت؟ قال: من أهل الكوفة، قال: أليس فيكم صاحب السر الذي كان لا يعلمه غير؟! يعني: حذيفة[٤]. حتى كان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وهو الملهم الفطن الأريب يستدل برأي حذيفة وبصيرته في اختيار الرجال ومعرفتهم.

ولقد أوتي حذيفة من الحصافة ما جعله يدرك أن الخير في هذه الحياة واضح لمن يريده، وإنما الشر هو الذي يتنكر ويتخفَّى، ومن ثم يجب على الأريب أن يُعْنَى

---

(١) أفضى النبي لحذيفة: أسر إليه وأخبره.
(٢) درء خطرهم: دفع خطرهم.
(٣) «صور من حياة الصحابة» (٣٠١، ٣٠٢) بتصرف.
(٤) أخرجه البخاري (٣٢٧٨).

بدراسة الشَّرِّ في مكاتبه ومظانه [١]؛ وذلك من باب قول القائل:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه ... ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

عباد الله: ولو أردنا أن نعرف قدر هذا الرجل العظيم، فما علينا إلا أن نتدبر هذا الحوار الذي دار بينه وبين رسول الله ﷺ: عن حذيفة رضي الله عنه قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أساله عن الشر، مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله: إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «**نعم**»: قلت: وهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: «**نعم، وفيه دخن**»، قلت: وما دخنه؟ قال: «**قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر**»، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «**نعم، دعاة إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**» قلت: يا رسول الله صفهم لنا، فقال: «**هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا**»، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»، قلت فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**» [٢].

وعنه أيضا أنه قال: والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة[٣].

وعنه أيضا أنه قال: قام فينا رسول الله مقامًا، فحدثنا بما هو كائن إلى قيام الساعة، فحفظه من حفظه، ونسيه من نسيه [٤].

قال الإمام الذهبي رضي الله عنه: قلتُ: قد كان ﷺ يُرَتِّلُ كلامه ويفسره، فلعله قال

---

(١) «رجال حول الرسول ﷺ» لخالد محمد خالد (ص٢٤٦).
(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٤٥٣-٤٥٤) علامات النبوة.
(٣) أخرجه مسلم (٢٨٩١) الفتن.
(٤) أخرجه البخاري (١١/ ٤٣٣)، ومسلم (٣٨٩١/ ٢٣).

في مجلسه ذلك ما يُكتب في جزء فذكر أكبر الكوائن، ولو ذكر أكثر ما هو كائن في الوجود لما تهيأ أن يقوله في سنة، بل ولا في أعوام ففكر في هذا[1].

عن زاذان: أن عليًّا سئل عن حذيفة، فقال: علم المنافقين[2]. وهكذا عكف حذيفة رضي الله عنه على دراسة الشر والأشرار والنفاق والمنافقين لكي يحذر منهم، بل ويحذر الأمة من شرورهم. وعن أبي يحيى، قال: سأل رجل حذيفة -وأنا عنده- فقال: ما النفاق؟ قال: أن تتكلم بالإسلام ولا تعمل به[3]. ولقد ناشد عمر حذيفة عندما علم أن النبي ﷺ أسر إليه بأسماء المنافقين فقال: أأنا من المنافقين؟ فقال: لا، ولا أزكي أحدًا بعدك[4]. وظل حذيفة بن اليمان مؤتمنًا على أسرار المنافقين ما امتدت به الحياة، وظل الخلفاء يرجعون إليه في أمرهم، حتى إن عمر بن الخطاب ﷺ كان إذا مات أحد المسلمين يسأل: أحضر حذيفة للصلاة عليه؟ فإن قالوا: نعم، صلى عليه، وإن قالوا: لا، شك فيه وأمسك عن الصلاة عليه.

وقد سأله ذات مرة أفي عمالي أحدٌ منَ المنافقين؟ فقال: واحدٌ، فقال: دلني عليه، فقال: لا أفعل، قال حذيفة: لكن عمر ما لبث أن عزله كأنما هُدِيَ إليه، فلقد كان عمر يملك فراسة وشفافية يندر وجودها.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

(١) «سير أعلام النبلاء» للإمام الذهبي (٢/ ٣٦٦).
(٢) قال الشيخ شعيب الأرنؤوط في «تخرج السيرة» رجاله ثقات.
(٣) «سير أعلام النبلاء» للإمام الذهبي (٢/ ٣٦٣).
(٤) نسبه في «الكنز» (١٣/ ٣٤٤) إلى رسته- نقلا عن «السير» (٢/ ٣٦٤) للذهبي.

obeikandl.com

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، والخسران والذل والهوان لأعداء الدين من المشركين والمنافقين، وأصلي وأسلم على كاشف أسرار المنافقين صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين إلى يوم الدين.

وبعد:

عباد الله: ظل حذيفة ملازمًا للحبيب ﷺ لينهل من هذا النبع الصافي.

عن حذيفة بن اليمان قال: سألتني أمي: منذ متى عهدك بالنبي ﷺ؟ فقلت: منذ كذا وكذا، فنالت مني، وسبتني فقلت لها: دعيني فإني آتي النبي ﷺ فأصلي معه المغرب، ولا أدعه حتى يستغفر لي ولك، فصليت معه المغرب فصلى إلى العشاء ثم انفتل وتبعته فعرض له عارض وأخذه، فاتبعته فسمع صوتي فقال: «من هذا؟» قلت: حذيفة فقال: «مالك؟» فحدثته بالأمر فقال: «غفر الله لك ولأمك، أما رأيت العارض الذي عرض لي قبل؟» قلت: بلى، قال: «هو ملك من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قط قبل هذه الليلة أستأذن ربه أن يُسَلِّم علي ويبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»[1].

ولقد كان حذيفة رضي الله عنه يخشى ربه في السر والعلانية، وكان لا يحب أن يطَّلع أحد على عمله، وكان يحب العزلة خوفًا على نفسه وعلى دينه من الفتن التي هو أعلم الناس بها بعد النبي ﷺ قال حذيفة رضي الله عنه والله لوددت أن لي إنسانًا يكون في مالي ثم أغلق على بابًا فلا يدخل على أحد حتى ألحق بالله عز وجل، وعن الأعمش قال: بكي حذيفة في صلاته، فلما فرغ التفت فإذا رجل خلفه فقال: لا تعلمن بهذا أحدًا[2] ولعل السؤال الذي يخطر على البال: ما السبب الذي جعل حذيفة رضي الله عنه يتغيب عن غزوة بدر؟ ويتولى حذيفة بنفسه الجواب على هذا السؤال فيقول: ما منعني أن أشهد بدرًا إلَّا أني خرجت أنا وأبي فأخذَنا كفار قريش، فقالوا: إنكم تريدون محمدًا؛ فقلنا: ما نريد إلا المدينة، فأخذوا العهد علينا: لننصرفن إلى المدينة

---

(١) رواه النسائي في «فضائل الصحابة» (١٩٣).
(٢) صفة الصفوة (١/ ٢٥٦).

ولا نقاتل معه. فأخبرنا النبي ﷺ فقال: «نفي بعهدهم ونستعين الله عليهم»[١].

عباد الله: ولما جاء يوم أحد وخاض المسلمون تلك الغزوة أمام مشركي قريش، وكان في جند المسلمين (حذيفة) مع أبيه اليمان، فأما حذيفة فقاتل قتال من يبحث عن الشهادة ويشتاق إليها، وأما أبوه فقد استشهد يومئذ قتله بعض الصحابة غلطًا ولم يعرفه لأن الجيش يختفون في لأمة الحرب، ويسترون وجوههم، فإن لم يكن لهم علامة بيِّنة وإلَّا ربما قتل الأخ أخاه، ولا يشعر.

ولما شدوا على اليمان يومئذ بقي حذيفة يصيح: أبي! أبي! يا قوم فراح خطأ فتصدق حذيفة عليهم بديته[٢].

وفي رواية عن محمود بن لبيد قال: لما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد رُفعَ حُسيل ابن جابر وهو اليمان، أو حذيفة بن اليمان وثابت بن وقش في الآطام مع النساء والصبيان، فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران: لا أبا لك، ما تنتظر؟ فوالله ما بقي لواحد منا من عمره إلَّا ظمأ حمار[٣]، إنما نحن هامة اليوم أو غد أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله ﷺ لعل الله يرزقنا شهادة مع رسول الله ﷺ؟ فأخذا أسيافهما ثم خرجا حتى دخلا في الناس، ولم يعلم بهما فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون، وأما حسيل بن جابر فاختلف عليه أسياف المسلمين فقتلوه ولا يعرفونه[٤] فقال حذيفة: أبي، فقالوا: والله إن عرفناه[٥] قال حذيفة يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، فأراد رسول الله ﷺ أن يَدِيَه - يعطيه الدية - فتصدق حذيفة

---

(١) أخرجه مسلم(١٧٧٨) الجهاد.

(٢) أخرجه البخاري(٧/ ٢٧٩).

(٣) ظمأ الحمار: مقدار ما يكون بين الشربتين. وأقصر الإظماء ظمأ الحمار؛ لأنه لا يصبر عن الماء فضرب مثلا لقرب الأجل.

(٤) قيل: إن الذي قتله خطأ هو عقبة بن مسعود أخو عبد الله بن مسعود، وعقبة هو أول من سمي المصحف مصحفًا.

(٥) يعني ما عرفناه، وصدقوا.

بديته على المسلمين، فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيرًا[١].

عباد الله: وأما قصة حذيفة بن اليمان رضي الله عنه بين حشود الأحزاب، وتخلله جمعوهم وصفوفهم بأمر رسول الله ﷺ يتعرف أخبارهم ويَسْبُرُ أحوالهم، ويكشف عن أسرارهم، وما نزل بهم من كوارث البلاء، وفوادح المحن، وما تفعله بهم الرِّيح التي أرسلها الله عز وجل عليهم، وقاصفات العواصف، مما جعل مُقامهم في منازلهم من ميدان المعركة محالًا، من أشهر قصص الفروسيَّة والشَّجاعة ومن أسْبَر قصص المغازي، وأوسعها تداولًا في المصادر الوثيقةِ الموثوقةِ من مصادر حديثية وتأريخية وسيرة وما شابه ذلك.

عن محمد بن كعب القرظي، قال: قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله، أرأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم يا ابن أخي، قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهد، قال: فقال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض، ولحملناه على أعناقنا قال: فقال حذيفة: يا ابن أخي والله لقد رأيتُنا مع رسول الله ﷺ بالخندق، وصلى رسول الله ﷺ هويًا[٢] من الليل ثم التفت إلينا فقال: «من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع- يشرط له رسول الله ﷺ الرجعة - أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة؟» فما قام رجل من القوم، من شدة الخوف، وشدة الجوع وشدة البرد، فلما لم يقم أحد، دعاني رسول الله فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني، فقال: «**يا حذيفة اذهب فادخل في القوم، فانظر ماذا يصنعون ولا تُحْدِثَنَّ شيئًا حتى تأتينا**» قال: فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تُقرَ لهم قِدرًا ولا نارًا ولا بناء. فقام أبو سفيان، فقال: يا معشر قريش، لينظر امرؤ مَن جليسه؟ قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي، فقلت: من أنت؟ قال: فلان بن فلان. ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مُقام، لقد هلك الكُراع والخُفُّ[٣] وأخلفتنا بنو

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه من كتاب «المغازي» باب إذ همت طائفتان (٧/ ح٤٠٦٥/ فتح).

(٢) هويًا من الليل: قطعة منه.

(٣) الكراع: الخيل. والخف: الإبل.

قريظة وبلغَنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون؛ ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جمله وهو معقول □ مربوط □ فجلس عليه، ثم ضربه، فوثب به على ثلاث، فوالله ما أطلق عقاله إلّا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله ﷺ إليَّ: «**ألّا تحدث شيئًا حتى تأتيني**» إن شئت لقتلته بسهم.

قال حذيفة: فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مِرط لبعض نسائه مراجل[1]. فلما رآني أدخلني إلى رجليه، وطرح عليَّ طرف المرط، ثم ركع وسجد وإني لفيه، فلما سَلَّمَ أخبرتُهُ الخبر، وسمعتْ غطفان بما فعلت قريش، فانشمروا راجعين إلى بلادهم[2].

قال ابن إسحاق: ولما أصبح رسول الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعًا إلى المدينة، والمسلمون ووضعوا السلاح[3] وبهذا الموقف الذي وقفه حذيفة واستجابته لأمر رسول الله ﷺ أصبح واحدًا ممن فازوا برفقة الحبيب في الجنة، ويا لها من بشرى لا توازيها الدنيا بكل ما فيها من زينة ومتاع زائل، وتمر الأيام الجميلة مسرعة إلى أن جاء اليوم الذي أظلمت فيه الدنيا كلها بموت النبي ﷺ فحزن حذيفة عليه حزنًا كاد أن يمزق قلبه.

اللهم شفع فينا نبيك محمد ﷺ وأوردنا حوضه، واسقنا من يده الشريفة شربة ماء لا نظمأ بعدها أبدًا ، اللهم أصلح الراعي والرعية، وارزقه البطانة الصالحة التي تدله على طاعتك وتذبه عن المعصية، اللهم عليك بأعدائك أعداء الدين من صليبيين وغيرهم، اللهم مزق جمعهم وشتت شملهم واجعل الدائرة عليهم، واجعلهم وأموالهم وديارهم وأبناءهم غنيمة للإسلام والمسلمين، وصل الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وأقم الصلاة.

---

(١) المرط: الكساء، قال ابن هشام: المراجل: ضرب من وشي اليمن.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٣٩٢، ٣٩٣)، وأخرجه الحاكم (٣/ ٣١)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٣) «السيرة» لابن هشام (٣/ ٢٠١، ٢٠٢) بتصرف.

حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله: حديثنا اليوم بإذن الله في الخطبة الثانية عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وبعد أن انتقل الحبيب ﷺ إلى جوار ربه ظل حذيفة على عهده عابدًا صائمًا قائمًا مجاهدًا في سبيل الله جل وعلا.

عن ابن سيرين قال: كان عمر ابن الخطاب إذا بعث أميرًا كتب إليهم: إني قد بعثت إليكم فلانًا وأمرته بكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا.

فلما بعث حذيفة إلى المدائن كتب إليهم إني قد بعثت إليكم فلانًا فأطيعوه، فقالوا: هذا رجل له شأن فركبوا ليتلقوه فلقوه على بغل تحته إكاف، وهو معترض عليه،

رجُلًا من جانب واحد، فلم يعرفوه، فأجازوه فلقيهم الناس فقالوا: أين الأمير ؟ قالوا هو الذي لقيتم، قال: فركضوا في أثره فأدركوه وفي يده رغيف وفي الأخرى عَرَق، وهو يأكل. فسلموا عليه فنظر إلى عظيم منهم فناوله العرق والرغيف قال: فلما غفل ألقاه، وقال: أعطاه خادمه.

وفي رواية أخرى عن ابن سيرين: أن حذيفة كان راكبًا على حمار له إكاف وبيده رغيف وعرق من لحم، فقالوا: سلنا ما شئت، فقال: أسألكم طعامًا آكله وعلفًا لحماري هذا ما دمت فيكم، فأقام ما شاء الله، ثم كتب إليه عمر أن اقدم، فقدم، فلما بلغ عمر: قدومه كَمُنَ له (أختبأ له) على الطريق في مكان لا يراه، فلما رآه على الحال التي خرج من عنده عليها أتاه فالتزمه (احتضنه)، وقال: أنت أخي وأنا أخوك، وكان يكره أن يدخل عليه رجل ليُثني عليه أو ليمدحه، بل كان يحب من يأتي إليه ويذكر له عيوبه ليُصْلح من نفسه ما خفي عليه، ولذلك كان لا يكره شيئًا أكثر من الكذب والنفاق.

فعن عمارة بن عبد، عن حذيفة قال: إياكم ومواقف الفتن، قيل: وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله ؟ قال: أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه [1].

عباد الله: ولعل قليلًا من الناس من يعلم أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه كان من أصحاب السبق العظيم في فتوحات العراق كلها.

ففي (همدان والري والدينور) تم الفتح على يديه. وفي معركة نهاوند كانت المعركة الكبرى حيث احتشد الفُرس في مائة ألف مقاتل، وخمسين ألفًا والمسلمون في ثلاثين ألفًا يقودهم الإيمان بالله والعقيدة الراسخة التي سكبها الحبيب ﷺ في قلوب أصحابه حتى كان الواحد منهم يقابل جيشًا بأكمله فلا يخاف ولا يخش إلا الله وحده.

---

(١) صفة الصفوة (١/ ٢٥٦).

وكتب عمر كتابه فقال: «بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى النعمان بن مقرِّن سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلَّا هو، أما بعد فإنه قد بلغني أن جموعًا من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند، فإذا أتاك كتابي هذا فسر بأمر الله وبعون الله وبنصر الله بمن معك من المسلمين، ولا تُوطِئهم وعرًا فتؤذيهم، ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم، ولا تدخلهم غيضة (الغيضة: المكان الملتف بالشجر) فإن رجلًا من المسلمين أحب إلي من مائة ألف دينار والسلام عليك، فسر في وجهك ذلك حتى تأتي (ماه) فإني قد كتبت على أهل الكوفة أن يوافوك بها، فإذا اجتمع إليك جنودك فسر إلى الفيرزان، ومن جمع معه من الأعاجم من أهل فارس وغيرهم، واستنصروا وأكثروا من: لا حول ولا قوة إلا بالله».

وكتب عمر إلى نائب الكوفة عبد الله بن عبد الله، أن يعين جيشًا ويبعثهم إلى نهاوند، وليكن الأمير عليهم حذيفة بن اليمان حتى ينتهي إلى النعمان بن مقرِّن، فإن قتل النعمان فحذيفة ووَلِّ السائب بن الأقرع قسم الغنائم، فسار حذيفة في جيش كثيف نحو النعمان بن مقرن ليوافوه بماه، وسار مع حذيفة خلق كثير من أمراء العراق، وقد أرصد في كل كورة ما يكفيها من المقاتلة، وجعل الحرس في كل ناحية، واحتاطوا احتياطًا عظيمًا ثم انتهوا إلى النعمان بن مقرن حيث اتعدوا، فدفع حذيفة بن اليمان إلى النعمان كتاب عمر وفيه الأمر له بما يعتمده في هذه الوقعة، فكمل جيش المسلمين في ثلاثين ألفًا من المقاتلة.

وتعبئت الفرس تعبئة عظيمة، واصطفوا صفوفًا هائلة في عدد وعُدد، لم ير مثله، وقد تغلغل كثير منهم بعضهم في بعض، والقوا حسك الحديد وراء ظهورهم حتى لا يمكنهم الهرب ولا الفرار، ولا التحيز، ثم إن النعمان بن مقرن رضي الله عنه كبَّر الأولى، وهز الراية فتأهب الناس للحملة، ثم كبَّر الثانية هز الراية، فتأهبوا أيضًا، ثم كبَّر الثالثة، وحمل الناس على المشركين، وجعَلت راية النعمان تنقض على الفرس كانقضاض العقاب على الفريسة حتى تصافحوا بالسيوف، فاقتتلوا قتالًا لم يعهد مثله في موقف من المواقف المتقدمة، ولا سمع السامعون بوقعة مثلها قتل من

المشركين ما بين الزوال إلى الظلام من القتلى ما طبق وجه الأرض دمًا، بحيث إن الدواب كانت تطبع فيه، حتى قيل: إن الأمير النعمان بن مقرن زلق به حصانه في ذلك الدم فوقع، وجاءه سهم في خاصرته فقتله، ولم يشعر به أحدٌ سوى أخيه سويد، وقيل: نعيم، وقيل: غطاه بثوبه وأخفى موته ودفع الراية إلى حذيفة بن اليمان، فأقام حذيفة أخاه نعيمًا مكانه وأمر بكتم موته حتى ينفصل الحال لئلا ينهزم الناس. فلما أظلم الليل انهزم المشركون مدبرون وتبعهم المسلمون، وكان الكفار قد قرنوا منهم ثلاثين ألفًا بالسلاسل، وحفروا حولهم خندقًا فلما انهزموا وقعوا في الخندق، وفي تلك الأودية نحو مائة ألف، وجعلوا يتساقطون في أودية بلادهم فهلك منهم بشر كثير نحو مائة ألف أو يزيدون سوى من قُتِلَ في المعركة ولم يفلت منهم إلَّا الشريد، فشارك حذيفة في تلك المعركة الكبيرة وأخذ الراية بعد مقتل النعمان بن مقرن [1].

وهكذا انتهت المعركة بهزيمة ساحقة للفرس على أيدي الموحدين الذين امتلأت قلوبهم حُبًّا لله ولرسول الله ﷺ ولنصرة دين الله.

عباد الله: إن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه كان عبقريًّا في حكمته حين تضمه صومعته، وعبقريًّا في فدائيته حين يقف على أرض القتال، وهو كذلك العبقري في كل مهمة تُوكل إليه ومشورة تطلب منه، فحين انتقل سعد بن أبي وقاص والمسلمون معه من المدائن إلى الكوفة واستوطنوها، وذلك بعد أن أنزل مُناخ المدائن بالعرب المسلمين أذىً بليغًا مما جعل عمر يكتب لسعد كي يغادرها فورًا بعد أن يبحث عن أكثر البقاع مُلاءمة، فينتقل بالمسلمين إليها، يومئذ من الذي وكل إليه أمر اختبار البقعة والمكان؟ إنه «حذيفة بن اليمان، ذهب ومعه سلمان بن زياد يرتادان للمسلمين المكان الملائم.

فلما بلغا أرض الكوفة، وكانت حصباء جرداء مرملة، شَمَّ حذيفة عليها أنسام العافية، فقال لصاحبه: هنا المنزل إن شاء الله. وهكذا خططت الكوفة وأحالتها يدُ التعمير إلى مدينة عامرة، وما كاد المسلمون ينتقلون إليها حتى شفي سقيمهم

(١) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٧/ ١١٠-١١٣) بتصرف

وقوي ضعيفهم ونبضت بالعافية عروقهم! بإذن الله.

لقد كان حذيفة واسع الذكاء متنوع الخبرة، وكان يقول للمسلمين دائمًا: ليس خياركم الذين يتركون الدنيا للآخرة، ولا الذين يتركون الآخرة للدنيا، ولكن الذين يأخذون من هذه ومن هذه [1].

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله ولي الصالحين، وناصر الموحدين على أعداء الدين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحابته إلى يوم الدين.

أما بعد:

في الصحيح أن حذيفة ﷺ قال: «يا معشر القراء اسلكوا الطريق فلئن سلكتموها لقد سبقتم سبقًا بعيدًا، ولئن أخذتم يمينًا وشمالًا لقد ضللتم ضلالًا بعيدا..»، وفي رواية ابن المبارك «فوالله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقًا بعيدًا».

وعنه ﷺ: «أخوف ما أخاف على الناس اثنتان: أن يؤثروا ما يرون على ما يعلمون وأن يضلوا وهم لا يشعرون».

وعنه: أنه أخذ حجرين، ووضع أحدهما على الآخر، ثم قال لأصحابه: هل ترون ما بين هذين الحجرين من النور؟ قالوا: يا أبا عبد الله، ما نرى بينهما من النور إلا قليلًا. قال: والذي نفسي بيده لتظهرن البدع حتى لا يُرى من الحق إلا قدر ما بين هذين الحجرين من النور، والله لتفشون البدع حتى إذا ترك منها شيء قالوا: تُركت السُّنَّة.

---

(١) رجال حول الرسول ﷺ (ص:٢٥٥).

وعنه أنه قال: «أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما تفقدون الصلاة، ولتُنقضن عرى الإسلام عروة عروة، ولتطأنَّ نساءكم وهن حُيَّض، ولتسلكن طريق من كان قبلكم خذوة القذة بالقذة، وحذو النعل بالنعل، لا تخطئن طريقهم، ولا تخطئ بكم، وحتى تبقي فرقتان من فرق كثيرة، تقول إحداهما: ما بال الصلوات الخمس! لقد ضل من كان قبلنا، إنما قال الله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾[هود:١١٤]. لا تصلون إلا ثلاثًا، وتقول الأخرى إنما المؤمنون بالله كإيمان الملائكة ما فيها كافر ولا منافق حق على الله أن يحشرهما مع الدجال».

عباد الله: وظل حذيفة رضي الله عنه شديد الاهتمام بالقرآن الكريم، حتى أنه كان السبب في جمع المسلمين على مصحف واحد، عندما لاحظ أن الاختلاف والفرقة قد بدأت تدب بين صفوف المسلمين حينما كان يغزو مع أهل العراق في أرمينية وأذربيجان، وذلك في خلافة عثمان رضي الله عنه فأسرع حتى قدم المدينة وعرض على عثمان وجهة نظره، فسارع عثمان إلى ذلك وجمع الصحابة، فاستقر رأيهم على كتابة القرآن الكريم، ثم أرسل منه نُسَخًا إلى الأمصار، وبذلك جمع الناس على مصحف واحد وبهذا التصرف المحمود قطع عثمان دابر الفتنة، وحسم مادة الخلاف والاختلاف، وحصَّن القرآن الكريم من أن يتطرق إليه شيءٌ من التحريف أو الاختلاف على مر العُصُور وتعاقب الأزمان[1].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه «أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك. فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد

(١) فرسان من عصر النبوة (ص٤٨، ٤٩).

ابن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة ، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق[1]، وهكذا سجَّل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أثرًا وضيئًا في تاريخ القرآن الكريم، وسيظَلُّ ماثلًا يرشح بالعبير إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

عباد الله: وحذيفة رضي الله عنه واحد من فرسان الحكمة النابعة من الفيوضات الربانية والفتوحات الرَّحمانية إذ إن أقواله تسيل بالرِّقة والرحمة والحنان، وتفوح بها يعطر المجالس، وتسكن في القلوب لأنها ممتزجة برحيق الذكر الحكيم، ومختلطة بأنفاس النبوة الشريفة؛ من ذلك قوله الشهير في أصناف القلوب: القلوب أربعة: قلب أغلفٌ ، فذلك قلبُ الكافر. وقلب مصفح، فذلك قلب المنافق (قلب مصفح: هو الذي له وجهان يلقى أهل الكفر بوجه، وأهل الإيمان بوجه). وقلب أجرد في سراج فذلك قلب المؤمن. (قلب أجرد في سراج؛ أي: ليس فيه غِلٌّ ولا غشٌّ فهو على أصل الفطرة فنُوُر الإيمان فيه يُزْهِرُ)، وقلب فيه نفاق وإيمان، فمثل الإيمان كمثل شجرة يمدها ماء طيب. ومثل النفاق مثل القرحة يمدها قيحٌ ودمٌ ، فأيهما ما غلب عليه غلب[2]. ولنسمع إلى هذه الموازنة اللطيفة، والأدب الرائع والنصيحة اللينة في قوله: إن الحق ثقيل، وهو مع ثقله مريء، وإن الباطل خفيف، وهو مع خفَّته وبِيء ، وترك الخطيئة أيسرُ وخيرٌ من طلب التوبة، ورب شهوة ساعة أورثت حزنًا طويلًا[3] .

عباد الله: وبعد حياة مليئة بالزهد والكفاح والبذل والتضحية نام رفيق النبي ﷺ في الجنة على فراش الموت لتفيض روحه الطاهرة إلى ربها - عز وجل - الذي كتب الموت على الخلائق وهو الحي الذي لا يموت.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٨٧) كتاب فضائل القرآن.
(٢) حلية الأولياء (١/ ٢٧٦).
(٣) مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٢٥٩).

عن النَّزل بن سبرة قال: قلت لأبي مسعود الأنصاري: ماذا قال حذيفة عند موته؟ قال: لما كان عند السحر، قال: أعوذ بالله من صباح إلى النار، ثلاثًا، ثم قال: اشتروا لي ثوبين أبيضين فإنهما لن يتركا عليَّ إلا قليلًا حتى أبدل بهما خيرًا منهما أو أسلبهما سلبًا قبيحًا [١]، وعن زياد، مولى ابن عياش، قال: حدثني من دخل على حذيفة في مرضه الذي مات فيه فقال: لولا أني أرى أن هذا اليوم آخر يوم وأول يوم من الآخرة لم أتكلم به، اللهم إنك تعلم أني كنت أحب الفقر على الغنى، وأحب الذلة على العز، وأحب الموت على الحياة، حبيب جاء على فاقة، لا أفلح من ندم [٢].

ونزلت كوكبةٌ من الملائكة الكرام، وقبضوا روح حذيفة ﷺ وصَعِدُوا بها إلى بارئها راضية مرضية، لتستقرَّ في علِّيين، وانتهت بوفاته حياة حافلة بالهجرة والجهاد والفروسية، والفتوحات، والعلم، والزُّهد، والحكمة، والفَضْل، وبحسب حذيفة أن يقرن اسمه باسم رسول الله ﷺ فيقال: صاحب سر رسول الله ﷺ.

توفي حذيفة سنة ست وثلاثين منَ الهجرة بعد عثمان بأربعين يومًا [٣]، وبعد فما أجمل أن تختم سيرة حذيفة بما افتتح به أبو نُعيم ترجمته؛ إذ قال: العارف بالمحن وأحوال القلوب والمشرف على الفتن والآفات والعيوب، سأل عن الشر فاتَّقاه، وتحرى الخير فاقتناه، سكن عند الفاقة والعدم، وركن إلى الإنابة والندم، وسبق رتقَ الأيام والأزمان أبو عبد الله حذيفة بن اليمان.

رضي الله عن فارس الأحزاب: حذيفة بن اليمان، وأوسع له في الفراديس منزلًا، ونفع المسلمين بسيرته العطرة، وجعلهم يقتدون به في العبادة، وحفظ السِّرِّ والجهاد وطلب العلم النافع [٤] فرضي الله عن حذيفة وعن سائر الصحابة أجمعين.

---

(١) المستدرك (٣/ ٣٨١) نقلًا من السيرة للإمام الذهبي (٢/ ٣٦٨).
(٢) صفوة الصفوة (١/ ٢٥٦).
(٣) مختصر تاريخ دمشق (٦/ ٢٦٢).
(٤) فرسان من عصر النبوة (ص٥٤).

اللهم ألحقنا بالصالحين، واجلعنا من ورثة جنة النعيم، اللهم أصلح الراعي والرعية، اللهم ول أمورنا خيارنا ولا توها شرارنا يا أرحم الراحمين، اللهم انصر الإسلام وأهله واخذل الشرك وأهله، واجعلهم وأموالهم وديارهم غنيمة للإسلام والمسلمين، اللهم وحد صفوف المسلمين، واجمع كلمتهم وأنصرهم على عدوك وعدوهم يا سميع الدعاء، وقوموا إلى صلاتكم .

obeikandl.com

عمّار بن ياسر رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: إننا اليوم على موعد مع قصة الصبر على البلاء.

إن الله سبحانه وتعالى جعل الصبر جوادًا لا يكبو، وصارمًا لا ينبو، وجندًا لا يهزم وحصنًا حصينًا لا يثلم.

قال ﷺ: «**ما أعطي أحد عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر**»(١) ، ولقد ذكر الله الصبر في القرآن في نحو من تسعين موضعًا فقال سبحانه: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[السجدة:٢٤].

---

(١) متفق عليه عن أبي سعيد.

لذا قال الإمام ابن تيمية: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[الزُّمَر:١٠].

فوالله لو لم يكن في القرآن آية عن الصبر سوى هذه الآية؛ لكانت كافية، فإن الذي سيعطي هو الله سبحانه وتعالى. ولقد جمع الله للصابرين أمورًا لم يجمعها لغيرهم فقال: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[البقرة:١٥٧][1]. وها نحن نعيش بل ونتعايش من خلال تلك السطور مع قصة الصبر على البلاء، إنها قصة تتكرر في كل يوم، بل في كل مكان وزمان. إنه الصراع الدائم بين الإيمان والكفر الذي قال عنه الحق جل وعلا: «﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾[البقرة:٢١٧].

وقال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾[النساء:٨٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[البروج:٨].

فهيا بنا لنتعايش مع تلك القصة ولنقترب أكثر من هذا الصحابي الجليل الذي اشتاقت الجنة إليه، نعم - والله - لقد اشتاقت جنة الرحمن إلى هذا الصحابي الجليل. إنه عمار بن ياسر رضي الله عنه الإمام الكبير اليقظان العنسيُّ المكيُّ مولى بني مخزوم، أحد السابقين الأولين والأعيان البدريين وأمه هي: سمية مولاة بني مخزوم، من كبار الصحابيات، وهي أول شهيدة في الإسلام، وأول عنصر أبدأ به الحديث عن هذا الصحابي الجليل هو: موعد السعادة. وتبدأ القصة عندما قدم ياسر والد عمار - من اليمن مع أخويه الحارث ومالك إلى مكة؛ ليبحثوا عن أخ لهم فقدوه منذ سنوات، ومن هذا الوقت وهم يطوفون في البلدان بحثًا عنه، فانتهى بهم المطاف في أرض مكة فبحثوا عنه فلم يجدوه فعاد الحارث ومالك، وأما (ياسر) فلم يعد لأنه أحسَّ بسعادة عجيبة ونشوة غريبة جعلته يؤثر البقاء في مكة، وهو لا يعلم أنه بذلك قد دخل التاريخ من أوسع أبوابه بل وأشرفها.

وكان من عادة العرب أنه إذا دخل رجل غريب إلى بلدة، واستقر بها، فلا بد

(١) (كتاب: صدقوا ما عاهدوا) للمصنف (ص٩٨-٩٩).

أن يحالف سيدًا من سادات القوم ليمنعه من أذى الناس وليستطيع أن يعيش حياة هائدة مطمئنة في ذلك المكان. فحالف ياسر أبا حذيفة بن المغيرة المخزومي فأحبه الرجل من أعماق قلبه لما رأى من نبيل الخصال وكريم الفعال ونفاسة معدنه، وأراد أن يتقرب منه أكثر من ذلك فزوجه من أمة له تدعى سمية بنت خباط فأنجبت له غلامًا مباركًا ألا وهو عمار بن ياسر واكتملت الفرحة يوم أن أعتقه أبو حذيفة، وحرره من العبودية ثم مات أبو حذيفة.

عباد الله: وبعد قرون طويلة عاشتها البشرية في ظلمات الشرك والجاهلية، وإذا بشمس الإسلام تشرق على أرض الجزيرة لتخرج الناس من ظلمات الجاهلية إلى أنوار التوحيد والإيمان، ولتنقلهم من البؤس والشقاء إلى سعادة الدنيا والآخرة، إلى جنة الدنيا التي تثمر لهم بعد ذلك جنة الآخرة، إنهم على موعد مع حياة جديدة، بل إن صح القول؛ مع مولد جديد، وفي تلك الساعات يسمع عمار رضي الله عنه عن تلك الرسالة المحمدية، على صاحبها الصلاة والسلام، فانفتح قلبه لنداء الإيمان، وذهب إلى دار الأرقم وأقدامه تسابق الريح، وكأنه يسابق الزمن فما أن وصل ورأى النبي ﷺ وسمع منه حتى كاد يطير من شدة الفرح.

نعم إن هذا الدين هو طريق النجاة للبشرية كلها، فما كان منه إلا أن بسط يده للحبيب ﷺ وقال بقلبه ولسانه: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله ﷺ، ولما لامس الإيمان شغاف قلب عمار رضي الله عنه عاد إلى أبويه يحمل لهما النور والخير والإيمان، لقد عاد إليهما ومعه جنة الدنيا.

فما أن عرض عليهما الإسلام حتى استجابا في التو واللحظة، ما تلعثم واحد منهما ولا تَلَكَّأ. وهذا والله هو أعظم البر بالوالدين، أن يكون الولد سببًا في دخولهما الجنة ونجاتهما من النار. وانطلقت الأسرة الكريمة المباركة في رحلتها إلى جنة الرحمن، وعلى الرغم من أن الطريق صعب وشاق وطويل، لكن عاقبته محمودة وغالية، ويكفي أن يضع المؤمن قدميه على أول الطريق ويستعين بالملك جل وعلا.

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم، ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين من الصابرين المحتسبين، والذل والخزي والخسران والمهانة لأعداء الدين من المشركين والكفار والمنافقين، وأصلي وأسلم على سيد الأولين والآخرين محمد وعلى آله وصحابته أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

عباد الله: وما هي إلا ساعات معدودة حتى طار خبر إسلام «آل ياسر» إلى بني مخزوم فاستشاطوا غضبًا. وصبُّوا على آل ياسر أشد العذاب، فكانوا إذا حميت الظهيرة يأخذونهم إلى بطحاء مكة، ويُلْبِسُونهم دُروع الحديد، ويمنعون عنهم الماء، ويصهرونهم في الشمس المحرقة، ويصبون عليهم من جحيم العذاب ألوانًا، حتى إذا بلغ منهم الجهد مبلغًا، أعادوا معهم الكَرَّة في اليوم الذي يليه.

وكان هذا شأن كل من أظهر إسلامه بمكة، ولكن درجات العذاب كانت تتفاوت فيما بينهم.

عن عبد الله قال: أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب وبلال والمقداد فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم ، فألبسهم المشركون أدرع الحديد، وصفدوهم في الشمس، وما فيهم أحدٌ إلَّا وقد واتاهم على ما أرادو إلا بلال فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأعطوه الولدان يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أحدٌ أحدٌ (١).

وبينما هم على تلك الحالة من العذاب والتنكيل، وإذا بالحبيب المصطفي ﷺ يمر عليهم ويقول لهم «**أبشروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة**» (٢). الله أكبر، لقد هبت رياح الجنة على قلوبهم فأطفأت نار العذاب في لحظة واحدة. وعن عمرو بن ميمون قال: عذب المشركون عمارًا بالنار فكان النبي ﷺ يمر به، فيُمِر يده على رأسه ويقول:

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٤٩)، والحاكم (٣/ ٢٨٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي: صحيح.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ١٨٨)، وقال مصطفى العدوي: صحيح لشواهده.

opelkandor.com

«يا نار كوني بَرْدًا وسلامًا على عمَّار كما كنت على إبراهيم»، تقتلك الفئة الباغية [١]، وهنا بدأت نفوسهم تشعر بالراحة والطمأنينة، وبدلًا من المعاناة التي كانوا يجدونها من أثر التعذيب، أصبحوا يستعذبون العذاب في سبيل الله، ويحلُمُون بالجنة ليلًا ونهارًا، وهكذا فإنه لا بد أن نعلم أن الدين الذي رفع محمد ﷺ لواءه ، ليس حركة إصلاح عابرة وعارضة، إنما هو نَهجُ حياة للبشرية المؤمنة، ولابد للبشرية المؤمنة هذه أن ترث مع الدين تاريخه بكل بطولاته وتضحياته ومُخاطراته.

إن هذه التحضيات النبيلة الهائلة هي «الخرسانة» التي تَهَبُ الدين والعقيدة ثباتًا لا يزول، وخلودًا لا يبلى، إنها العبير يملأ أفئدة المؤمنين ولاءً وغبطة وحبورًا وإنها «المنار» الذي يهدي الأجيال الوافدة إلى حقيقة الدين وصدقه وعظمته. وهكذا لم يكن هناك بُدٌّ من أن يكون للإسلام تضحياته وضحاياه.

ولقد أضاء القرآن الكريم هذا المعنى للمسلمين في أكثر من آية.

فهو يقول: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[العنكبوت:٢]، ويقول: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾[البقرة:٢١٤]، أجل، هكذا عَلَّمَ القرآن حملته وأبناءه أن التضحية جوهر الإيمان، وأن مقاومة التحديات الغاشمة الظالمة بالثبات وبالصبر وبالإصرار، إنما تُشَكِّل أبهى فضائل الإيمان وأروعها..

ومن ثم فإن دين الله هذا وهو يضع قواعده، ويرسي دعائمه ويعطي مُثله، لابد له أن يدعم وجوده بالتضحية ، ويزكي نفسه بالفداء، مختارًا لهذه المهمة الجليلة نفرًا من أبنائه وأوليائه وأبراره يكونون قدوة سامقة ومثلاً عاليًا للمؤمنين القادمين [٢].

عباد الله: وبدأت المحنة تتحول إلى منحة ربانية بعد أن بشرهم النبي ﷺ بالجنة، وهنا تقوم أم عمَّار سمية رضي الله عنها لتكتب بدمها سطورًا من النور على جبين التاريخ

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ١/ ١٧٧) نقلًا من السير للذهبي (١/ ٤١٠)

(٢) رجال حول الرسول ﷺ (ص٢٦٠-٢٦١)بتصرف.

لتكون أول شهيدة في الإسلام، وذلك عندما تَعَرَّض لها الهالك أبو جهل عليه من الله ما يستحقه فطعنها في موطن عفتها فقتلها.

واستشهد ياسر (والد عمار) رضي الله عنه تحت وطأة التعذيب.

فلما لم يبق سوى عمار رضي الله عنه اشتد الكفار عليه وأذاقوه من العذاب ألوانًا، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: أخذ المشركون عمارًا فلم يتركوه حتى نال من رسول الله ﷺ وذكر آلهتهم بخير، فلما أتى النبي ﷺ قال: «ما وراءك؟» قال شر يا رسولَ والله ما تُرِكْتُ حتى نلت منك، وذكرتُ آلهتهم بخير، قال: «فكيف تجد قلبك؟» قال: مطمئن بالإيمان، قال: «فإن عادوا فَعُدْ »[(١)] ، وعن قتادة أن قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾[النحل:١٠٦]، نزلت في عمار [(٢)].

عباد الله: إن هذا الدين قام على تضحيات جسام، بقي أن نسأل أنفسنا: ما هي تضحياتنا لهذا الدين ومن أجل إعلاء كلمة الله، والحقيقة مرة هي أن حالنا يُرثى له فقد أُصْبنَا بما أخبر به النبي ﷺ من حب الدنيا والوهن وكراهية الموت، وسَنُسْأل أمام الله جل وعلا عن تقصيرنا في نصرة أخواننا من أهل الثغور، فماذا أعددنا من إجابة على أسئلة كثيرة سنقف أمامها في صمت رهيب، وندم كبير؟ ومع هذا: أيها المسلم أحسن فيما بقي من عمرك، وجد واجتهد في خدمة هذا الدين، فإن الإحسان فيما بقي يكفر الله به التقصير الذي مضى، وكما قال شيخ الإسلام رحمه الله: (العبرة بكمال النهاية لا بنقص البداية)، اللهم اجعلنا هداة مهتدين لا ضالين ولا مضلين، اللهم انصر الإسلام وأهله، واخذل الشرك وأهله، اللهم اجعلنا من أهل الإيمان ولا تجعلنا من أهل النفاق يا سميع الدعاء، اللهم أصلح الراعي والرعية وارزقهم البطانة الصالحة يا جود يا كريم، واغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وبدل سيئاتنا إلى حسنات يا سميع الدعاء، وقوموا إلى صلاتكم.

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٥٧) وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمة عمار بن ياسر: واتفقوا على أنه نزلت فيه هذه الآية. وانظر ابن سعد (٣/ ١/ ١٧٩).

عمّار بن ياسر رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله: حديثنا اليوم بإذن الله في الخطبة الثانية عن الصحابي الجليل عمار بن ياسر رضي الله عنه.

أيها الأحبة في الله: لقد كتب الله النجاة لعمار رضي الله عنه ولأمثاله من المستضعفين عندما أذن النبي ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة.

هاجر عمار رضي الله عنه فرارًا بدينه وهو الذي فقد أمه وأباه محتسبًا ذلك كله عند الله عز وجل فلما وصل إلى «قباء» دعاهم لبناء مسجد ليقيموا فيه الصلاة، فاستجابوا له، وتم بناء المسجد؛ فعن القاسم بن عبد الرحمن قال: أول من بنى مسجدًا يُصلَّى

فيه عمار [١]، وهذا درس عظيم لكل مسلم ليتعلم أن البذل والعطاء للإسلام لا بد أن يكون في كل لحظة من عمره، بل في أشد لحظات عمره وهى لحظات الابتلاء في سبيل الله تعالى.

وعاش عمار رضي الله عنه مع إخوانه من الأنصار رضي الله عنهم فنسي كل العذاب الذي نزل بجسده وأحس وكأنه بين أبويه لم يفقد واحدًا منهما، من كثرة ما يجد من رحمة الأنصار ورقة قلوبهم. ولما هاجر الحبيب ﷺ إلى المدينة تمت فرحة عمار رضي الله عنه بقدومه، فكان ملازمًا للنبي ﷺ لا يفارقه أبدًا.

وكان النبي ﷺ يحبه من أعماق قلبه ويقربه إليه دائمًا.

أما مناقب وفضائل عمّار بن ياسر رضي الله عنه فهاك جملة من ذلك:

عن علي رضي الله عنه قال: استأذن عمّار على النبي ﷺ فقال: «من هذا؟» قال: عمار، قال: «**مرحبًا بالطيب المُطَيَّب**»[٢]، وعن أنس أن النبي ﷺ قال: «**إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: علي وعمار وسلمان**» [٣]. الله أكبر، الجنة تشتاق إلى رجل، أي منقبة هذه؟! وأي كرامة هذه؟! والله إن الكلمات كلها لتتوارى خجلًا وحياءً أمام تلك الكرامة.

وعن خالد بن الوليد قال: كان بيني وبين عمار كلام، فأغلظت له، فشكاني إلى رسول الله ﷺ فقال: «**من عادى عمارًا عاداه الله، ومن أبغض عمارًا أبغضه الله**»، فخرجت، فما شيء أحبَّ إليَّ من رضى عمار، فلقيته فرضي [٤]. وقال ﷺ «**اقتدوا باللَّذَيْن من بعدي من أصحابي أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وتمسكوا بعهد ابن مسعود**» [٥]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما خُيِّرَ عمار بين**

(١) أخرجه ابن سعد (٣/ ١/ ١٧٨)، والحاكم (٣/ ٣٥٨).
(٢) أخرجه الترمذي(٣٧٩٩)،الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٨٨)، وصححه ووافقه الذهبي.
(٣) أخرجه الترمذي، والحاكم عن أنس، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٥٩٨).
(٤) قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٩٣): رواه أحمد والطبراني ورجال رجال الصحيح.
(٥) رواه الترمذي عن ابن مسعود والروياني عن حذيفة، وصححه الألباني في صحح الجامع (١١٤٤).

أمرين إلا اختار أرشدهما»[١].

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**عمَّار مليء إيمانًا إلى مُشاشه**»[٢].

وعن عكرمة قال: قال لي ابن عباس ولابنه علي: انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه، فانطلقنا فإذا هو في حائط يصلحه، فأخذ رداءه فاحتبى، ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى على ذكر بناء المسجد فقال: «كنا نحمل لبِنَة لبِنَة وعمَّار لبنتين لبنتين فرآه النبي ﷺ فينفض التراب عنه ويقول: «**ويح عمَّار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار**» قال: يقول عمَّار: أعوذ بالله من الفتن[٣].

عباد الله: ومن كرامات عمار رضي الله عنه التي أكرمه الله بها أن أجاره من الشيطان، وإليكم خبر ذلك: عن علقمة قال: قدمت الشام فصليت ركعتين ثم قلت: اللهم يسر لي جليسًا صالحًا، فأتيت قومًا فجلست إليهم، فإذا شيخ قد جاء حتى جلس إلى جنبي، قلت: من هذا؟ قالوا: أبو الدرداء. فقلت: إني دعوت الله أن ييسر لي جليسًا صالحًا فيسَّرك لي. قال: ممن أنت؟ قلت: من أهل الكوفة قال: أوليس عندكم ابن أم عبد - ابن مسعود - صاحب النعلين والوساد والمطهرة؟ أفيكم الذي أجاره الله من الشيطان يعني: على لسان نبيه ﷺ؟ يعني: عمارًا[٤]. أو ليس فيكم صاحب سر النبي ﷺ الذي لا يعلم أحد غيره؟ ثم قال: كيف يقرأ عبد الله ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾[الليل:١] فقرأت عليه ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾[الليل:١- ٣]. قال: والله لقد أقرأنيها رسول الله ﷺ من فيه إلى فيَّ[٥]، وكان من نفيس كلام عمَّار رضي الله عنه: ثلاثة من كُنَّ فيه، فقد استكمل الإيمان، أو قال: من كمال الإيمان الإنفاق في

---

(١) رواه الترمذي (٣٧٩٩)، وأحمد (٦/ ١١٣)، وفي صحيح الجامع (٤١٠٢).
(٢) رواه أبو نعيم في الحلية، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤١٠٣).
(٣) أخرجه البخاري (٤٤٧).
(٤) والمراد به عمار، وانظر رواية البخاري (٣٢٨٧)(٦٢٧٨).
(٥) أخرجه البخاري (٣٧٤٢)، والنسائي في فضائل الصحابة (١٩٤).

الإيمان الإنفاق في الإقتار والإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم [١].

عباد الله: أما الصفحات المشرقة من جهاده في سبيل الله فلقد شهد عمار رضي الله عنه بدرًا مع رسول الله ﷺ وكان المسلم الوحيد الذي خاض المعركة وأبواه مؤمنان شهيدان.

وشهد مع النبي ﷺ كل المشاهد. ولما توفي رسول الله ﷺ ولحق بالرفيق الأعلى ارتدَّتْ أكثر قبائل العرب عن الإسلام فكان لعمار رضي الله عنه موقفًا عظيمًا في «يوم اليمامة»[٢]. أنا عمار بن ياسر ، هلموا إليَّ وأنا أنظر إلى أُذُنه قد قُطعت، فهي تذبذب، وهو يقاتل أشد القتال [٣].

قلت ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد.

أما عن ولاية عمار بن ياسر رضي الله عنه فلقد ضرب المثل الأعلى في الرحمة والعدل والتواضع والإنصاف، عن حارثة بن مضرب قال: قريء علينا كتاب عمر: أما بعد، فإني بعثت إليكم عمَّار بن ياسر أميرًا، وابن مسعود مُعلِّمًا ووزيرًا، وإنهما لمن النجباء من أصحاب محمد ﷺ من أهل بدر، فاسمعوا لهما وأطيعوا واقتدوا بهما،

---

(١) علقه البخاري في الإيمان، ووصله عبد الرزاق في المصنف (١٩٤٣٩)، وأحمد في كتاب الإيمان.

(٢) قال ابن عمر : رأيت عمَّارًا يوم اليمامة على صخرة ، وقد أشرف يصيح يا معشر المسلمين أمِنَ الجنة تفرون ؟ .

(٣) أخرجه ابن سعد (٣/ ١/ ١٨).

وقد آثرتكم بابن أم عبد - ابن مسعود - على نفسي. (ورواه شريك فقال): آثرتكم بهما على نفسي [١]. قال عبد الله بن أبي الهذيل: رأيت عمارًا اشترى قتًّا بدرهم، وحمله على ظهره وهو أمير الكوفة [٢]، وهذا مثل عظيم في التواضع، بل تدبر معي هذا التواضع الذي يعجز القلم عن وصفه، فعن طارق بن شهاب قال: إن أهل البصرة غزوا نهاوند، فأمدهم أهل الكوفة وعليهم عمار، فظفروا، فأراد أهل البصرة أن لا يقسموا لأهل الكوفة. فقال رجل تميمي: أيها الأجدع تريد أن تشاركنا في غنائمنا؟ فقال عمار: خير أُذُنَيَّ سببت، فإنها أصيبت مع رسول الله ﷺ قال: فكتب في ذلك إلى عمر فكتب عمر: إن الغنيمة لمن شهد الوقعة [٣].

وكان عمر رضي الله عنه كعادته يسأل الناس عن الولاة خشية أن يحيدوا عن العدل ويجور أحدهم في حكمه، فسأل عمر أهل الكوفة عن عمَّار فأثنوا عليه ، وقالوا: والله ما أنت أمرته علينا ولكن الله أمَّره، فقال عمر: اتقوا الله وقولوا كما يقال، فوالله لأنا أمَّرته عليكم، فإن كان صوابًا فمن قِبَل الله، وإن كان خطأً إنه من قِبَلي.

وعن الحارث بن سويد: أن رجلًا من الكوفة وشى بعمار إلى عمر، فقال له عمر: إن كنت كاذبًا فأكثر الله مالك وولدك وجعلك موطأ العقبين.

ويقال: سعوا بعمار إلى عمر في أشياء كرهها له فعزله، ولم يؤنبه، وعن الشعبي قال عمر لعمَّار: أساءك عزلنا إياك ؟ قال: لئن قلت ذلك، لقد ساءني حين استعملتني، وساءني حين عزلتني [٤].

عباد الله: ولما وقعت الفتنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما كان عمَّار رضي الله عنه في صف علي رضي الله عنه وكان قد بلغ من العمر يومئذ ثلاثًا وتسعين سنة، وكان عمَّار بن ياسر قليل

(١) أخرجه ابن سعد (٣/ ١/ ١٨٢) نقلًا من السير للذهبي.
(٢) أخرجه ابن سعد (٣/ ١/ ١٨٢)، والقت الفصفصة وهي الرطبة من علق الدواب.
(٣) قال شعيب الأرنؤوط في تخرج السير: إسناده صحيح: أخرجه ابن سعد (٣/ ١/ ١٨١- ١٨٢)، والبيهقي في سنن (٩/ ٥٠).
(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي (١/ ٤٢٣).

الكلام، طويل السكوت، وكان عامة قوله: عائذٌ بالرحمن من فتنة عائذ بالرحمن من فتنة، فعرضت له فتنة عظيمة [١]، وعن عمّار بن ياسر أنه قال: وهو يسير إلى (صفين) إلى جنب الفرات اللهم لو أعلم أنه أرضى لك عني أن أرمي بنفسي من هذا الجبل فأتردى فأسقط فعلت، ولو أعلم أنه أرضى لك عني أن ألقي نفسي في الماء فأغرق نفسي فعلت، وإني لا أقاتل إلّا أريد وجهك، وأنا أرجو أن تخيّبني وأنا أريد وجهك! يا لها من كلمات تُصدع الأفئدة وتفتت الجبال.

وعن أبي البختري قال: قال عمّار يوم صفّين: ائتوني بشربة لبن، قال: فشرب، ثم قال: قال رسول الله ﷺ **«إن آخر شربة تشربها من الدنيا شربة لبن، ثم تقدم فَقُتِلَ»**[٢].

وعن الزهري عن أبيه عمن حدثه: سمع عمارًا بصفين يقول: أزفت الجنان وزوجت الحور العين، اليوم نلقى حبيبنا محمداً ﷺ [٣].

وقُتِلَ عمّار رضي الله عنه ونزفت دماؤه الشريفة التي لطالما امتزجت بحب الله وحب رسوله ﷺ ولطالما احترقت شوقًا لنصرة دين الله - جل وعلا - قتله رجل اسمه، أبو الغادية، ويقال: قتله رجل آخر، فالله أعلم.

ولما قُتِلَ عمّار، دخل عمرو بن حزم على عمرو بن العاص فقال: قُتِلَ عمّار. وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«تقتله الفئة الباغية»** فقام عمرو فزعًا إلى معاوية فقال له: ما شأنك ؟ قال: قُتِلَ عمار، قُتِلَ عمّار، قال: فكان ماذا ؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول **«تقتله الفئة الباغية»** قال: أنحن قتلناه ؟ وإنما قتله عليٌّ وأصحابه، جاءوا به حتى ألقوه بين رماحنا، أو قال: بين سيوفنا [٤]. وفي رواية: أنه لما أخبر عمرو بن العاص بقتل عمار قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن قاتله وسالبه في النار»** [٥].

---

(١) أخرجه ابن سعد (٣/ ١/ ١٨٣)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٤٥).
(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٣١٩).
(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (١/ ٤٢٥).
(٤) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح، وانظر مجمع الزوائد (٧/ ٢٤٢)(٩/ ٢٩٧).
(٥) قال الأرنؤوط: إسناده حسن: أخرجه أحمد (٤/ ١٩٨).

قال الإمام الذهبي معلقًا على الفتنة التي حدثت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما :

«... فسبيلنا الكَفُّ والاستغفار للصحابة، ولا نحب ما شجر بينهم، ونعوذ بالله منه ونتولى أمير المؤمنين عليًّا [1]. أما عمار فقد حمله الإمام على فوق صدره إلى حيث صلى عليه والمسلمون معه، ثم دفنه في ثيابه، أجل في ثيابه المضمخة بدمه الزَّكي الطهور، فما كُلُّ حرير الدنيا وديباجها؟ ما يصلح أن يكون كفنًا لشهيد جليل من طراز عمار. ووقف المسلمون على قبره يعجبون، منذ ساعات كان عمار يغرد بينهم فوق أرض المعركة، تملؤ نفسه غبطة الغريب المُضْنَى يُزفُّ إلى وطنه، وهو يصيح: (اليوم ألقى الأحبة ، محمد وصحبه)[2]؟! وكيف لا يلقاهم وقد «اشتاقت الجنة إلى عمار؟!). فهنيئًا لك أيها الصحابي الجليل وهنيئًا لمن اكتحلت عيناه برؤيتك ورؤية أصحاب الحبيبﷺ وهنيئًا هنيئًا لمن اكتحلت عَيناه وانشرح صدره برؤية الحبيب ﷺ . وهكذا رحل عمار الذي اشتاقت الجنة إليه، رحل عن دنيا الناس ليجمع الله بينه وبين أبيه وأمه في جنته مع الحبيب محمدﷺ فرضي الله عن عمار وعن سائر الصحابة أجمعين وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

اللهم ألحقنا بالصالحين، واجعلنا من ورثة جنة النعيم، اللهم أصلح الراعي والرعية، اللهم من ولي أمر المسلمين ويسر لهم فيسر أمره ، ومكنه في الأرض، ومن ولي أمر المسلمين وشق عليهم فلا تجعل له في الأرض تمكينا يا سميع الدعاء، اللهم عليك بالصليبيين وأعوانهم، اللهم اجعلهم وأموالهم وديارهم غنيمة للإسلام والمسلمين، اللهم انصر إخواننا المجاهدين في كل مكان؛ الذين يجاهدون لإعلاء كلمتك، اللهم اطعم جائعهم واسق عطشاهم واكسِ عاريهم، وأمِّن روعاتهم، اللهم وحد صفوف الموحدين، وأجمع كلمتهم وانصرهم على عدوك وعدوهم يا سميع الدعاء، وقوموا إلى صلاتكم.

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/ ٣٩).

(٢) رجال حول الرسول ﷺ ص(٢٧٩).

عُكاشة بن محصن رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي لـه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾[النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الأحبة في الله: حديثنا اليوم بإذن الله عن واحد من عمالقة الصحابة رضي الله عنهم الذين حملوا أمانة الدين فوق أعناقهم، إنه الرجل الذي لا يدخل الجنة فحسب، بل إنه يدخلها بغير حساب ولا عذاب! فتعالوا بنا لنعيش قصته من أولها؛ فمرحبًا برياح الجنة.

بعد أن بُعث النبي ﷺ وأخذ يدعو إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، وأخذت دعوة الإسلام تنتشر في مكة وتعمل عملها في أصحاب الأفئدة والضمائر الحية، بدأت قريش تقف في وجه الدعوة وقوف المعارض، وتدافع عن وثنيتها دفاع المستميت، وقرر المشركون محاربة الإسلام وإيذاء الداخلين فيه، والتعرض

لهم بأنواع العذاب والنكال. بيد أن هذه الحرب المستعرة جعلت بعض الشباب من ذوي العقول الواعية ينظرون إلى الإسلام نظرة صافية، خالية من شوائب الجاهلية ورواسبها؛ فكان بعضهم يقبل على الإسلام في صفاء تام، ويعلن إسلامه وانضمامه إلى الدين الحنيف.

نبَّهت دعوة الإسلام أحد الشباب الذين عرفوا بوفرة العقل وصدق الإحساس وصفاء السريرة، وحركت في نفسه نوازع الخير والركون إلى الإسلام، وترك الشرك، وألْفَت الدعوة مكانًا خاليًا في قلبه، فتمكنت منه وأشرقت نفسه بالحقيقة، وانطلق إلى رسول الله ﷺ يعلن إسلامه، ولم يكن هذا الشاب سوى عُكاشة بن محصن حليف بني عبد شمس. وكان عكاشة معروفًا بجمال الطلعة وحسن الهيئة والجرأة والإقدام، وقد تلقى الأذى من قريش مع من تلقى من المؤمنين؛ لكنه لم يزدد إلا إيمانًا وتسليمًا وإصرارًا على التمسك بدينه، ولم تفتر قريش في الحملة على الإسلام ورجاله لحظة واحدة، فلقد ضيقوا عليهم سبل العيش، وحاولوا أن يفتنوهم عن دينهم [1]. ولما رأى الحبيب ﷺ ما ينزل بأصحابه من العذاب والأذى والبلاء؛ أشار عليهم بالهجرة إلى المدينة، فكان عكاشة من بين من هاجر إلى يثرب (المدينة) وما إن وصل إلى هناك حتى استنشق نسيم الأنس والراحة والأمان لأول مرة منذ أن أسلم.

وعاش في المدينة أجمل وأبهى أيام عمره؛ في رحاب إخوانه من الأنصار الذين بذلوا لإخوانهم المال والنفس والنفيس ابتغاء وجه الله تعالى وطمعًا فيما عنده من الرحمة والرضوان والجنة.

عباد الله: وبعد أن التقط عكاشة رضي الله عنه أنفاسه هناك بين إخوانه كان في أشد شوقه لخدمة هذا الدين العظيم والذود عن حياضه. فاستعمله النبي ﷺ على سرية الغمر في أربعين رجلًا فذهبوا إلى (الغمر)، فعلم القوم بمجيئه فهربوا ونزل على مياههم، وأرسل عيونه فعرفوا مكان ماشيتهم فغزاها؛ فوجد مائتي بعير

(١) رجال مبشرون بالجنة (ص١٠٥، ١٠٦).

فساقها إلى المدينة [١] ولقد شهد بدرًا وأبلى يومئذ بلاءً حسنًا، وشهد أُحُدًا والخندق وما بعدها[٢]. لقد أسلم بطلنا مبكرًا ولازم الحبيب ﷺ ليقتبس من علمه وهديه وأخلاقه، وجعل حياته كلها لله ولخدمة دين الله جل وعلا حتى بَشَّره النبي ﷺ بأنه يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب فأصبح منذ تلك اللحظة يبحث عن الشهادة في مظانها ليفوز بتلك البشرى العظيمة التي خرجت من فم الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ.

عباد الله: وها هي السعادة التي لا شقاء بعدها أبدًا يحصل عليها عكاشة رضي الله عنه يا لها من كرامة لا توازيها الدنيا بكل زخارفها الفانية ونعيمها الزائل.

إنه رجل يأتي يوم القيامة فيدخل مع الحبيب ﷺ الجنة بغير حساب ولا عذاب ! فبينما الناس وقوفٌ في أرض المحشر خمسين ألف سنة بلا طعام ولا شراب ولا ظل، والشمس فوق الرؤوس، وقد حُشرَ الناس حُفاةً عُراةً غُرْلًا وإذا بالحق جل جلاله يأمر حبيبه محمد ﷺ أن يدخل الجنةَ ومعه تلك النخبة السعيدة التي تدخل الجنة بغير حساب، والذين لم نعرف منهم سوى عكاشة بن محصن، فهنيئًا له والله، فقد قال ﷺ «**من نوقش الحساب عُذِّب**» [٣]، وفي رواية «**من نوقش المحاسبة هلك**» [٤]. فلو علم الإنسان أنه سيدخل الجنة، ولكن بعد الحساب بين يدي الله جل وعلا لكان ذلك عذابًا شديدًا؛ فما ظنك بمن لا يدري هل هو من أهل الجنة أم من أهل النار ؟ نسأل الله جل وعلا أن يجمعنا وإياكم في جنته بغير حساب ولا عذاب.

عباد الله: إليكم حديث الذين يدخلون الجنة بغير حساب من فم الصادق المصدوق ﷺ ولنتدبر ونسأل الله من فضله بأن نكون منهم.

عن محمد – يعني ابن سيرين– قال: حدثني عمران قال: قال نبي الله ﷺ :«**يدخل**

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١/ ٣٠٧).
(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٠٧).
(٣) متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها، صحيح الجامع (٦٥٧٨).
(٤) رواه الطبراني في الكبير عن ابن الزبير، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥٧٩).

الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب» قالوا: ومن هم يا رسول الله ؟ قال «هم الذين لا يَكْتَوُون ولا يسترقون، وعلى ربهم يتوكلون» ؛ فقام عكاشة فقال: ادع الله أن يجعلني منهم! قال: «أنت منهم» قال: فقام رجل فقال: يا نبي الله ادع الله أن يجعلني منهم قال: «سبقك عكاشة»(١).

عباد الله: التوكل على الله هو صدق اعتماد القلب على الله في استجلاب المصالح ودفع المضار في أمور الدنيا والآخرة.

إن الأمة الإسلامية قد ذلت بعد عزة، وافتقرت بعد غنًى، وضعفت بعد قوة، وجهلت بعد علم؛ لأنها تركت التوكل على ربها، وذهبت تلتمس العزة عند الشرق الملحد تارة، وعند الغرب الكافر تارة ونسيت أنه لا يملك خزائن السموات والأرض إلا الله، ونسيت قول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر:١٠]فهل جندت نفسك أيها الأخ الكريم لتكون واحدًا من هؤلاء.

يقول الله عز وجل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾[الطلاق:٢، ٣] قال المفسرون: إن هذه الآية عامة، وقد نزلت في عوف بن مالك الأشجعي. أسر المشركون ابنه فأتى النبي ﷺ وشكا إليه الفاقة وقال: إن العدو أسر ابني وجزعت أمه فما تأمرني؟ قال ﷺ: «اتق الله واصبر، وآمرك وإياها أن تستكثروا من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله» ففعل هو وامرأته فبينما هو في بيته إذ قرع ابنه الباب ومع مائة من الأبل غفل عنها العدو فاستاقها، فنزلت الآية: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[الطلاق:٢].(٢).

قلت ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٨).

(٢) ذكره ابن كثير في تفسير الآية بلفظ: وقال السُّدي وزعم أن رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ وساق القصة.

الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين المتوكلين على رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ناصر الموحدين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله إمام المهتدين، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته.

أما بعد:

عباد الله: أخبار وقصص السلف في التوكل تروي لنا الأعاجيب، وها هو صلة بن أشيم كما أورد الذهبي في سير أعلام النبلاء وقال: هذه قصة ثابتة عن صلة بن أشيم هذا التابعي المخضرم لما كان في طريق عودته من إحدى المعارك مات فرسه، فقال: اللهم لا تجعل لأحد على منَّة (أي: فضل) فإني استحيي أن أسأل غيرك، فأحيا الله له الفرس، فركبه ولما وصل إلى بيته قال لابنه محمد: يا بني انزع السرج من على الفرس، فإنها عارية (أي: أنني استعرتها من الله) فنزع السرج فمات الفرس!

وها هم أصحاب النبيﷺ لما حققوا التوكل على الله ساروا على الأنهار بخيولهم، بل وخاطبوا دواب الأرض حتى وقف عقبة بن نافع على أبواب مدينة القيروان وقال: أيتها الدواب، أيتها الأسود إنا أصحاب محمدﷺ جئنا لنعلي كلمة لا إله إلا الله فأفسحوا لنا الطريق، فخرجت الأسود بولدانها وخرجت الحيات والعقارب!!.

وكل ذلك لأنهم علموا أن لهم ربًا قد تكفل بالأرزاق؛ بل هو المالك والمتصرف في الكون كله، فهو الواحد الديان الذي قال، وقوله الحق: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾[المزمل:٩].

ولذا كان من دعاء النبيﷺ «**اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون**» [١]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**حسبنا الله ونعم الوكيل**» قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد حين قالوا: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟

(١) متفق عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما صحيح الجامع (١٣٠٩).

حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[آل عمران:١٧٣] (١).

وروي أن حاتم الأصم قال لأولاده: إني أريد الحج، فبكوا وقالوا: إلى من تكلنا؟، وكان له إبنة مباركة قد رزقها الله بنعمة التوكل واليقين، فقالت: دعوه يذهب فليس برازق، فخرج فباتوا جياعًا فجعلوا يوبخون تلك البنت، فقالت: اللهم لا تخجلني بينهم، فمر بهم أمير البلاد فقال لبعض أصحابه: اطلب لي ماء، فناوله أهل حاتم كوزًا جديدًا وماء باردًا فشرب، فقال: دار من هذه؟ فقالوا: دار حاتم الأصم فرمى فيها صرة من ذهب، وقال: من أحبني فليصنع مثلما صنعت، فرمى العسكر ما معهم من المال في هذا الإناء؛ فجعلت البنت تبكي فقالت أمها: ما يبكيك وقد وسع الله علينا، فقالت: لأن مخلوقًا نظر إلينا نظرة فاغتنينا فكيف لو نظر الخالق إلينا؟ .

عباد الله: إن الشواهد والعقائد والتاريخ الإسلامي ليقر لنا بحقيقة واحدة ألا وهي أن لا طريق إلى عودة المسجد الأقصى إلا بالصدق مع الله وتحقيق التوكل الكامل على الخالق جل وعلا. واستمعوا لتعرفوا وتوقنوا بتلك الحقيقة الثابتة التي لا تتبدل ولا تتغير. ها هو موسى عليه السلام لما أراد أن يدخل بقومه لتحرير الأرض المقدسة أخذ يذكرهم أولًا بنعم الله عليهم فقال: ﴿يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[المائدة:٢٠]، ثم بعد ذلك وضع أمامهم التكليف الرباني: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴾[المائدة:٢١، ٢٢].

وفجأة قام رجلان أنعم الله عليهم بنعمة الإيمان والتوكل وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ، وقالا: إن سلاحكم العظيم الذي ستفتحون به المسجد الأقصى هو التوكل على الله: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟

(١) رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفا عليه برقم (٤٥٦٣، ٤٥٦٤).

عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ﴾[المائدة:٢٣]. فما هو السلاح الذي يحقق لهم هذا الفتح ؟ ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[المائدة:٢٣].

وعلى الرغم من ذلك قالوا ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾[المائدة:٢٤]؛ فكانت العقوبة من الله لبني إسرائيل ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾[المائدة:٢٦].

وكان الجزاء والأجر العظيم ليوشع بن نون أنه بعد وفاة موسى عليه السلام أقام يوشع نبيًّا خليفة عن موسى عليه السلام ، ومات أكثر بني إسرائيل في تلك الفتنة (فترة التيه)، ويقال: إنه لم يبق أحد سوى يوشع بن نون وكالب بن يوفنا فلما انقضت المدة خرج بهم يوشع أو بمن بقي منهم وبسائر الجيل الثاني فقصد بهم بيت المقدس فحاصروها، فكان فتحها يوم الجمعة، وبعد العصر فلما تضيفت الشمس للغروب وخشي دخول السبت عليهم قال يوشع للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها عَلَيَّ ... فحبسها الله حتى فتحها ودخل منتصرًا؛ فهذا هو جزاء التوكل، ولذا قال النبي ﷺ «**ما حُبست الشمس على بشر قط إلا على يوشع بن نون ليالي سار إلى بيت المقدس**»[1].

فيا أمة الإسلام لا طريق للمسجد الأقصى إلا بالصدق مع الله، وتحقيق التوكل على الحي الذي لا يموت ولا يغرنكم تكالب اليهود ولا ما يملكون من السلاح والعتاد فإن كلمة: الله أكبر، لا يقف أمامها الصواريخ والدبابات والطائرات، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾[الأنفال:١٧].

واعلموا أننا جميعًا سنسأل أمام الله عن تضييع تلك الأمانة وترك المسجد الأقصى في أيدي اليهود، ولا عذر لنا عند الله فلابد أن نسعى لإعادة المسجد الأقصى. وقد تكفل الله لنا إحدى الحُسْنَيَيْن إما النصر وإما الشهادة.

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي وأحمد وابن عساكر، صحيح الجامع (٥٦١٢).

فيا أحفاد عمر وصلاح الدين لا تنسوا المسجد الأقصى [١].

عباد الله: أما خروج عكاشة رضي الله عنه لقتال المرتدين، فلما تُوفي رسول الله ﷺ ارتدَّتْ أحياء كثيرةٌ من الأعراب، وَنَجَمَ [٢] النفاق بالمدينة، وجعلت الوفود تَقْدُم فيقرون بالصلاة ويمتنعون من أداء الزَّكاة، ومنهم من امتنع عن دفعها إلى خليفة رسول الله أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه وأرضاه، وقد احتجوا بقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾[التوبة:١٠٣]، وقالوا: فلسنا ندفع زكاتنا إلا من صلاته سكن لنا! لكن سيدنا أبا بكر الصِّدِّيق رضوان الله عليه، وقف ذلك الموقف الرجولي العظيم قائلًا: «**والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلى الرسول ﷺ، لأقاتلنهم على منعها، إن الزكاة حق المال، والله لأقتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة**». وعزم الصِّدِّيق رضي الله عنه على قتالهم، وكان من بين هؤلاء المرتدين طُليحة بن خويلد الأسدي وكان طليحة قد تنبأ في قومه بني أسد وبني غطفان، وانضم إليهم بعض المرتدين أيضًا من بني عبس وذبيان.

خرج سيدنا عكاشة بن محصن رضي الله عنه لقتال طليحة بن خويلد ومن معه من المرتدين الذين مَرَدوا على النفاق، خرج وفي يده السيف المبارك الذي أخذه من رسول الله ﷺ يوم بدر، فكان يتبرك به في حِلِّه وترحاله، وفي سلمه وحربه، وانطلق عكاشة مع ثلة من الصحابة وهو يتشوق للشهادة. وهكذا رحل هذا الصحابي الجليل ليدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب [٣].

اللهم اجمعنا بالصالحين من أمة حبيبك ﷺ في جنتك ودار كرامتك، اللهم انصر الإسلام والمسلمين، ودمر الكفرة المعتدين، واجعلهم غنيمة للإسلام والمسلمين، اللهم أصلح الراعي والرعية، وارزقهم البطانة الصالحة يا جواد يا كريم، وقوموا إلى صلاتكم.

---

(١) كتاب (صدقوا ماعاهدوا) للمصنف (ص١١٢-١١٨) بتصرف.

(٢) نجم؛ أي: ظهر.

(٣) رجال مبشرون بالجنة (ص: ١٢٠-١٢١).

جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

عباد الله: ها نحن على موعد مع الرجل الذي أشبه خَلْقه وخُلُقه خَلْق وخُلُق رسول الله ﷺ، إنه الرجل الذي كان المساكين يفرحون برؤيته لرحمته بهم وعطفه عليهم، إنه الرجل الذي يطير في الجنة مع الملائكة بجناحين، إنه صاحب النسب الكريم، إنه ابن عم رسول الله ﷺ جعفر بن أبي طالب. يا لها من صفحة تبهر العقول وتحير الألباب.

إنها صفحة صدق نعيشها مع جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه إنه السيدُ الشهيدُ الكبير الشأن علم المجاهدين أبو عبد الله ابن عم رسول الله ﷺ أخو علي بن أبي طالب

وهو أسن من علي بعشر سنين [١]. وتعالوا بنا لنبدأ القصة من أولها: لما أسلم أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه علم أن الإسلام أمانة عظيمة فخرج من عند النبي ﷺ داعيًا إلى الله جل وعلا يدعو الناس جميعًا إلى جنة الرحمن التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

فكان من جملة من أسلموا على يديه جعفر بن أبي طالب وزوجه أسماء بنت عميس ، وكان إسلامها مبكرًا قبل أن يدخل الرسول ﷺ دار الأرقم.

عباد الله: لما أسلم جعفر وزوجه مبكرًا علمت قريش بخبر إسلامهما فلقي جعفر وزوجه من أذى قريش ونكالها ما لا يعلمه إلَّا الله، ولكنهما صبرا على الأذى والابتلاء لأنهما يعلمان أن البلاء سُنَّة لا تتبدل، ولا تتغير وأن طريق الجنة محفوفٌ بالمكاره، وما هي إلَّا ساعات معدودة ثم يجبر الله لهما كل كسر في جنته ومستقر رحمته.

قال ﷺ: «**يُؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيُصبَغ في جهنم صبغة، ثم يقال له: يا ابن آدم هل رأيت خيرًا قط ؟ هل مَرَّ بك نعيم قط ؟ فيقول: لا والله يا رب ، ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا من أهل الجنة، فيُصبَغ في الجنة صبغة، فيقال له: يا ابن آدم ، هل رأيت بؤسًا قط ؟ هل مَرَّ بك شدة قط ؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مَرَّ بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط**» [٢].

عباد الله: فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية لمكانه من الله ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: «**لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكًا لا يُظْلَمُ عنده أحدٌ وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه**» [٣]. فخرج عند ذلك المسلمون

---

(١) السير للإمام الذهبي (١/ ٢٠٦).
(٢) أخرجه مسلم وأحمد والنسائي وابن ماجه عن أنس، صحيح الجامع (٨٠٠٠).
(٣) السيرة لابن هشام (١/ ٢٦٦).

من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، وفرارًا إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة كانت في الإسلام، فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد أمِنُوا واطمأنوا بأرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا بها دارًا وقرارًا، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جَلِدين إلى النجاشي، فيرُدَّهُم عليهم، ليفتنوهم في دينهم، ويخرجوهم من دارهم التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها، فبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص بن وائل وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقته [1].

عباد الله: وها هو موقف عظيم لجعفر بن أبي طالب يقفه أمام النجاشي ليصدع بكلمة الحق التي أثمرت للمسلمين الخير كله، فعن أم سلمة، قالت: لما ضاقت علينا مكة وأوذي أصحاب رسول الله ﷺ وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم. وكان هو في منعة من قومه وعمه، لا يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحدٌ عنده، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجًا ومخرجًا**». فخرجنا إليه أرسالًا حتى اجتمعنا فنزلنا بخير دار إلى خير جار. وأمنا على ديننا»[2]، وفي رواية: أنها قالت: «لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا فيها خير جار النجاشي؛ أَمِنَّا على ديننا، وعبدنا الله تعالى، لا نؤذى ولا نسمع شيئًا نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشًا ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدين، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان منها أعجب ما يأتيه من الأدم فحملوا له أدمًا كثيرًا [3] ولم يتركوا من بطارقته بطريقًا إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله ابن أبي ربيعة وعَمْرًا بن العاص وأمروهما بأمرهم وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم ثم قدما إلى النجاشي هداياه ثم سلاه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم، قالت: فخرجا حتى قدَّما على النجاشي، ونحن عنده بخير

---

(١) السيرة لابن هشام(١/ ٢٧٥)، والبطارقة: جمع بطريق وهو القائد والحاذق في الحرب.
(٢) قال الأرنؤوط: إسناده صحيح، أخرجه ابن هشام (١/ ٣٣٤ مطولًا.
(٣) الأدم: الجلد وهي اسم جمع.

دار، وعند خير جار، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي، وقالا لكل بطريق منهم: إنه قد ضوى [١] إلى بلد الملك منَّا غلمانٌ سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم، وجاءوا بدين مبتدع، لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم، فإذا كلما الملك فيهم، فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عينًا [٢] وأعلم بما عابوا عليهم، فقالوا: لهما: نعم، ثم إنهما قدما هدايا هما إلى النجاشي فقبلها منهما ثم كلماه فقالا لا: أيها الملك إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم، فهم أعلم بهم عينًا وأعلم بما عابوه عليهم وعاتبوهم فيه.

قالت أم سلمة: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي. قالت: فقالت بطارقته حوله: صدقًا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم.

قالت: فغضب النجاشي ثم قال: لا ها الله، إذًا لا أسلمهم إليهما ولا يكاد قوم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على مَنْ سواي حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم فإن كانوا كما يقولون أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني، قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم. فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا ، وما أمرنا به نبينا ﷺ كائنًا في ذلك ما هو كائن، فلما جاءوا وقد دعا النجاشي أساقفته [٣] فنشروا

---

(١) ضوى: لجأ وأتي ليلًا.

(٢) أعلى بهم عينًا؛ أي: أبصرهم.

(٣) الأساقفة: هم علماء النصارى الذي يقيمون لهم دينهم.

مصاحفهم حوله، سألهم النجاشي، فقال لهم: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا به في ديني، ولا في دين أحد من هذه الملل؟ ، قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب (رضوان الله عليه) فقال له: أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيئُ الجوار ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا منا، نعرف نسبُه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحُسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، قلت: ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين والعاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين، وبعد:

قالت أم سلمة رضي الله عنها : فعدد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه أمورًا على النجاشي فقال عن النبي ﷺ فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من عند الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئًا وحرَّمنا ما حرَّم علينا وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وافتتنونا إلى ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وَضَيُّقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على مَنْ سواك، ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نُظْلم عندك أيها الملك.

قالت: فقال له النجاشيُّ: هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟ قالت: قال

له جعفر: نعم ، فقال له النجاشي: فاقراه عليَّ ، قالت: فاقرأه عليه صدرًا من: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾[مريم:١]. قالت: فبكى والله النجاشيُّ حتى اخضلت لحيته وبكت أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال [لهم] النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا يكادون.

قالت: فلما خرجا من عنده ، قال عمرو بن العاص: والله لاتينه غدًا بما أستأصل به خضراءهم [1]. قالت: فقال له عبد الله بن أبي ربيعة، وكان أتقى الرجلين: لا تفعل فإن لهم أرحامًا وإن كانوا قد خالفونا! قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبدٌ .

قالت: ثم غدا عليه من الغد فقال (له): أيها الملك ، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولًا عظيمًا، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه.

قالت: فأرسل إليهم ليسألهم عنه.

قالت: ولم ينزل بنا مثلها قط. فاجتمع القوم، ثم قال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه ؟ .

قالوا: نقول والله ما قال الله، وما جاءنا به نبيُّنا، كائنًا في ذلك ما هو كائن. قالت فلما دخلوا عليه قال لهم: ماذا تقولون في عيسى ابن مريم ؟ قالت: فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاءنا به نبيُّنا ﷺ (يقول): هو عبد الله ورسولُهُ ورُوحُه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. قالت: فضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عودًا ثم قال: والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود، قالت: فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم [2] والله اذهبوا؛ فأنتم

---

(١) خضراءهم؛ أي: شجرتهم التي تفرعوا عنها.

(٢) تناخرت؛ أي: تكلمت وكأنه كلام من غضب ونفور.

شيوم [١] بأرضي مَن سبكم غرم، ثم قال: من سبكم غرم، ثم قال: من سبكم غرم، ما أحب أن لي دبرًا من ذهب [٢]، وأني آذيت رجلًا منكم.

ردوا عليهما هدايا هما فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليَّ ملكي فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس فيَّ فأطيعهم فيه. قالت: فخرجا من عنده مقبوحين مردودًا عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار.

عباد الله: وبعد أن مكث (جعفر وزوجه) عشر سنوات في رحاب النجاشي آمنين مطمئنين يرفلون في حلل السعادة ويعبدون الله بلا قيود ولا مؤامرات تُدَبَّر لهم بالليل والنهار، ولا عذاب يُسَلَّط عليهم من كفار قريش، عاد مرة أخرى إلى المدينة وأقدامه تسابق الريح من أجل رؤية الحبيب ﷺ الذي طال والله شوقه إليه، وما إن وصل حتى كان النبي ﷺ عائدًا من فتح خيبر. فعن الشعبي: أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قدم على رسول الله ﷺ يوم فتح خيبر، فَقَبَّل رسول الله ﷺ بين عينيه، والتزمه وقال: « **ما أدري بأيهما أنا أسرُّ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟** ».

عباد الله: ولم تكن فرحة المساكين بقدوم جعفر رضي الله عنه بأقل من فرحة رسول الله ﷺ بقدومه. فلقد كان جعفر من أرحم الناس بالفقراء والمساكين.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الناس كانوا يقولون: أكثر أبو هريرة - أي: من رواية الأحاديث - وإني كنت ألزمُ رسول الله بشبع بطني حتى لا آكلُ الخمير ولا ألبسُ الحبير ولا يخدمني فلان ولا فلانة، وكنت ألصق بطني بالحصباء من الجوع، وإن كنت لأستقريء الرجل الآية هي معي كي ينقلب بي فيُطعمني، وكان أخير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه: كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته حتى إن كان ليُخْرِجُ إلينا العكة التي ليس فيها شيء فيشقها فنلعق ما فيها [٣].

---

(١) والشيوم: الآمنون.

(٢) قال ابن هشام: ويقال دبرًا من ذهب، ويقال: فأنتم شيوم، والدبر بلسان الحبشة: الجبل.

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٠٨)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١١٧).

عباد الله: وركب رسول الله ﷺ إلى مكة حيث اعتمروا عُمرة القضاء وعادوا إلى المدينة، وفي الطريق سمع جعفر من إخوانه - الذين خاضوا مع النبي ﷺ غزوة بدر وأحد وغيرهما من المشاهد - الكثير والكثير مما جعله يتلهف شوقًا للجهاد في سبيل الله وللفوز بالشهادة. ولم يطل انتظاره فقد بعث رسول الله ﷺ سرية إلى مؤتة في جمادي الأولى من سنة ثمان، واستعمل عليهم زيد بن حارثة، وقال ﷺ: «**إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس فإن أصيب جعفر، فعبد الله بن رواحة على الناس**».

فمضوا إلى أرض البلقاء من أرض الشام حتى نزلوا (مِعانًا) من أرض الشام، وبلغهم أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، ومائة ألف من المستعربة. ثلاثة آلاف من الأبطال والشجعان، من حملة القرآن أمام عَبَدَة الصُّلبان عليهم لعائن الرحمن في ذلك الزمان وفي كل أوان فالتقى الناس فاقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط في رماح القوم، ثم أخذها جعفر فقاتل القوم حتى قتل. قال ابن هشام وحدثني من أثق به من أهل العلم أن جعفرًا أخذ اللواء بيمينه فقطعت فأخذه بشماله فقطعت فاحتضنه بعضديه حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث يشاء، وفي رواية عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال «أمَّر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة . فقال رسول الله ﷺ: «**إن قُتِلَ زيدٌ فجعفرٌ ، وإن قُتِلَ جعفرٌ فعبد الله بن رواحة**». قال عبد الله: كنت فيهم في تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى ، ووجدنا ما في جسده بضعًا وتسعين من طعنة ورمية»[1]، ولقد نعى النبي ﷺ الثلاثة لأصحابه وبشرهم بشهادتهم في سبيل الله. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**أخذ الراية زيد فأُصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأُصيب**» وإن عيني رسول الله ﷺ لتذرفان «ثم أخذها

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٦١) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

خالد بن الوليد من غير إمرة فَفُتِحَ له»[١].

عباد الله : وفي نهاية المطاف ها هو جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يطير بجناحين في الجنة مع الملائكة. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**دخلت الجنة البارحة فنظرت فيها ، فإذا جعفر يطير مع الملائكة وإذا حمزة متكيء على سريره**»[٢].

فرضي الله عن جعفر وعن سائر الصحابة أجمعين، اللهم أصلح الراعي والرعية، اللهم انصر الإسلام وأهله، وأذل الشرك وأهله يا سميع الدعاء وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٤٦)، والنسائي (٤/ ٢٦).

(٢) رواه الطبراني في الكبير، والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٥٨).

obeikandl.com